

على منابر دمشق

كيف تصبح ولياً

إعداد

الدكتور محمد خير الشعال

يمكن الحصول على هذا الكتاب من
دار أفنان : سورية- دمشق- ركن الدين هاتف : 2775493

أو من موقع الشيخ الطبيب محمد خير الشعال على الإنترنت :

www.dr-shaal.com

المقدمة

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبي اجتباه وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ولو كره المشركون ولو كره من كره، اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد، فيا عباد الله أوصيكم - ونفسي - بتقوى الله تعالى وأحثكم - وإيائي - على طاعته، وأذكركم وإيائي، بأننا عبيد، وإن شأن العبد إن يطيع سيده، وتذكروا أن سيدنا أمرنا بطاعته، ووعد من أطاعه منا الجنة، وهو جل جلاله نهانا عن معصيته، وأوعد من عصاه منا النار إنه { من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره } [الزلزلة:7-8] ثم أستفتح بالذي هو خير.

يقول الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل: { ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم } [يونس: 62-64]، وقال ربنا { إن أولياءه إلا المتقون } [الأنفال:34].

قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه الإمام أحمد - : «الله عز وجل مائة رحمة وإنه قسم رحمة واحدة بين أهل الأرض فوسعتهم وادخر تسع وتسعين رحمة لأوليائه والله عز وجل قابض تلك الرحمة التي قسمها بين أهل الأرض إلى تسع وتسعين فكلها مائة رحمة لأوليائه يوم القيامة»⁽¹⁾ وقال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى «إن أوليائي من عبادي وأحبائي من خلقي الذين يذكرون بذكري وأذكرهم بذكرهم»⁽²⁾.

عنوان خطبة اليوم: كيف تصبح ولياً؟! .. وهي سلسلة مؤلفة من عشر خطب، ثلاث خطب فيها هي مواد لتجعلك ولياً - بثلاثة أمور تصبح ولياً لله تعالى - وست خطب في

(1) أحمد في مسنده : 10670 ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(2) أحمد في مسنده : 15549 ، من حديث عمرو بن الجموح رضي الله عنه

سمات الأولياء؛ أهم صفات ومعالم الأولياء، وخطبة مقدمة هي خطبة اليوم كيف تصبح ولياً.

الولي في اللغة: تدل على القرب والحب والنصرة، ولها عشر معاني. القدر المشترك في هذه المعاني العشرة هو القرب. تقول كل مما يليك؛ يعني: من الذي قريب منك، وتقول: جلس فلان بما يليه أو مما يليه أي جلس قريب منه، فالولي هو: القريب هو المحب هو الناصر، وولي الله متقرب إلى الله مقرب محب محبوب ناصر منصور.

الولي في الاصطلاح؛ هو: المتقرب من الله بما شرعه الله. وقالوا: (الأولياء هم المواظبون على الطاعات المجتنبون عن المعاصي المعرضون عن الانغماس في الشهوات) وقال الإمام الغزالي: (الولي من العباد من يحب الله عز وجل ويحب أولياءه وينصره وينصر أولياءه ويعادي أعدائه).

وقال ابن رجب الحنبلي: (أصل الموالاتة القرب، وأصل المعادة البعد، فأولياء الله هم الذين يتقربون إليه بما يقربهم منه، وأعداءه الذين أبعدهم منه بأعمالهم المقتضية بطردهم وإبعادهم منه) ويجمع كل هذه التعاريف قول الله تبارك وتعالى في وصف الأولياء: { الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } [يونس: 62] وقوله جل من قائل { إن أولياءه إلا المتقون } [الأنفال: 34] والتقوى فعل المأمورات وترك المنهيات.

أيها الأخوة الكرام: يظن الناسُ الوليَّ رجلاً منعزلاً في غار، أو معتزلاً في دار، أو معتكفاً في مسجد لا يخرج منه، ويظن آخرون أن الوليَّ رجلاً يطير في الهواء، أو يمشي على الماء، أو يتربع في السماء. ولعل قوماً ظنوه رجلاً لا يبيع ولا يشتري لا يتمنى ولا يشتهي تفرغ لقرآنه ومحرابه، وأشتغل بسبحته وكتابه، وكل ذلك الظن غير صحيح، فالولي رجل كالرجال وشاب كالشباب يأكل ويشرب، ويبيع ويشترى يتزوج وينجب، ويفعل ما يفعله الناس من المباحات، لكنه أضاف إلى ذلك ترك ما نهاه الله عنه وفعل ما أمره الله به.

أيها الشباب المؤمن لماذا لا تصير ولياً تحفظ أوامر الله فيحفظك الله، قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: «إني لأشرع إلى نصرته أوليائي وإني لأغضب لهم كما يغضب اللئيم الحرد»⁽¹⁾ أي اللئيم الغضبان، وقال سيدنا محمد صلى الله عليه و

(1) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب (الأولياء)، وابن عساكر، عن أنس، انظر (كتر العمال): 1160

سلم فيما يرويه عن ربه: «من عادى لي ولياً فقد آذنته في الحرب»⁽¹⁾ يعني أعلنت عليه الحرب، وفي رواية الطبراني «من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة»² لماذا لا تصير ولياً يدافع الله عنك ويحميك، روى الإمام أحمد في كتاب الزهد بإسناده عن وهب بن المنبه قال: إن الله تعالى قال لموسى حين كلمه: «إعلم أن من أهان لي ولياً أو أخافه فقد بارزني في المحاربة وعاداني وعرض نفسه ودعاني إليها، وإني أسرع شيء إلي نصرته أوليائي، أفيظن الذي يحاربني أن يقوم لي أو يظن الذي يعاديني أن يعجزني أو يظن الذي يبارزني يسبقني أو يفوتني، وكيف وأنا الثائر لأوليائي في الدنيا والآخرة فلا آثر نصرتهم إلى غيري».

لماذا لا تصير ولياً؟ فتصير ناصراً لدين الله، وتصير منصوراً من قبل الله، تصير منضبطاً بشريعة الله، وتصير محمياً بحماية الله.

ذكر العلماء أن أولياء الله تعالى صنفان: الصنف الأول: هم المقتصدون، والصنف الثاني هم: المقربون، أما المقتصدون فهم الذين يقتصدون على ترك المنهيات، وفعل الأمور هؤلاء نوع من الأولياء إذا فعلت هذين الأمرين فقط ترك المنهيات وفعل الأمور فأنت ولي الله تعالى من الصنف الأول الذين سماهم العلماء: المقتصدون، وهم أصحاب اليمين في سورة الواقعة {وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة إنا أنشأناهن إنشأً فجعلناهن أبقاراً عرباً أتراباً لأصحاب اليمين} [الواقعة: 27-38].

الصنف الأول من الأولياء هم المقتصدون المقصرون على ترك المحرمات وفعل الأمور، والصنف الثاني - وهو أعلى رتبة - هم المقربون، وهؤلاء الذين تقربوا إلى الله تعالى بالنوافل زيادة على ترك المنهيات وفعل الأمور؛ يعني فعلوا ثلاثة أشياء: تركوا المنهيات وفعلوا الأمور وزادوا عليها بالنوافل وهم الذين سماهم الله في سورة الواقعة: السابقون {والسابقون السابقون أولئك المقربون} [الواقعة: 10-11] فأولياء الله تعالى إما مقتصدون وإما مقربون، فمن أي الصنفين أنت.

(1) أخرجه البخاري : 6502 ، عن أبي هريرة رضي الله عنه

(2) الطبراني في (الأوسط) ، انظر (مجمع الزوائد) : 17951 ، عن أنس .

أيها الأخوة الكرام: كثير منا يطمح أن يكون غنياً، وعدد فينا يطمح أن يصير طبيباً، وبعض منا يحب أن يكون وجيهاً، لكن من منا أراد أن يكون ولياً؟.. ولماذا لا تريد؟.. ما الذي يحول بينك وبين ربك وخاصة ونحن في هذه الأيام نستعد لاستقبال شهر رمضان، وهذا وقت مناسب جداً لكي تطلب الولاية بالعمل والاجتهاد، بدأت من هذه الأيام نفحات السماء ترسل إلى الأرض لتدعو الأولياء إليها، فتعالوا في هذه الأيام القادمات نعزم أن نصير أولياء الله تعالى كائناً من كنت، في أي عمر كنت وفي أي عمل كنت، إذا تركت المنهيات وفعلت المأمورات وزدت عليها شيئاً من النوافل فأنت من أعلى طبقات الأولياء، فيشملك قول الله تعالى: **{ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون}** [يونس:62].

قال العلماء: الخوف يكون من شيء مكروه متوقع في المستقبل. أنت تخاف أن تخسر تجارتك هي لن تخسر، أنت تخاف أن يقع هذا الأمر في المستقبل (لا خوف عليهم) لا تتوقع لهم مكروه في المستقبل، والحزن هو: حدوث مكروه في الماضي، والتألم عليه. فلان من الناس يحزن لأنه أضاع فرصة في حياته **{ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم}** [يونس:62-64] ويشملك قول الأثر القائل «عبدني أطعني أجعلك عبداً ربانياً تقول للشيء كن فيكون» نسأل الله تعالى أن يجعلنا من خُص أولياءه.

الحمد لله رب العالمين

إتقان الفرائض

يقول الله تعالى: {وأحسن كما أحسن الله إليك} [القصص:77] وقال ربنا: {إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم} [الإسراء:7] وقال جل جلاله: {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة} [يونس:26] قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يحب العامل إذا عمل أن يحسن».

عنوان خطبة اليوم: إتقان الفرائض. نحن - أيها الأخوة الكرام - نتحدث في سلسلة كيف تصبح ولياً وذكرنا أنك تصبح ولياً من أولياء الله تعالى بثلاثة أمور: (ترك الحرام أولاً، وإتقان الفرائض ثانياً، وأداء النوافل ثالثاً).

فعل المأمورات أولاً، وترك المنهيات ثانياً، وأداء النوافل ثالثاً، لماذا لا تصير ولياً؟.. أيشق عليك أن تترك الحرام؟.. أم يصعب عليك أن تتقن الفرائض، أم أنت عاجز عن أداء شيء من النوافل. كان عنوان خطبة الأسبوع الماضي ترك الحرام، والحديث اليوم عن إتقان الفرائض، وفي الأسبوع القادم نتحدث عن أداء النوافل إن شاء الله تعالى، عنوان خطبة اليوم إتقان الفرائض، وهنا ملاحظة مهمة فرق كبير بين إتقان العمل وبين أداء العمل، ففرق شاسع بين إحسان العمل وبين أن تعمل العمل، ففرق كبير بين أداء الصلاة وبين إتقان الصلاة، وأركان الإسلام الفرائض معروفة للجميع الصلاة والزكاة والحج والصوم، وسنأخذ مثلاً في هذه الخطبة عن إتقان الفرائض إتقان الصلاة. ما الفارق بين أداء الصلاة وبين إتقان الصلاة؟. إنك لو استعرضت آيات القرآن الكريم كاملة لرأيت الله عز وجل يأمرنا في القرآن الكريم بإقامة الصلاة، فهو جل جلاله يصف المؤمنين حيناً أنهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويأمر نبيه حيناً آخر فيقول: {أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل} [الإسراء:78] ويخاطب نساء النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: {وأقمن الصلاة وآتين الزكاة} [الأحزاب:33] ويخاطب المؤمنين عموماً: {وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة} [البقرة:43] ويدعو سيدنا إبراهيم ربه في القرآن الكريم فيقول: {ربي اجعلني مقيم الصلاة} [إبراهيم:40] بينما يقول الله تعالى في موضع آخر في قرآنه الكريم: {فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون} [الماعون:5] فهو عز وجل يمتدح مقيمي الصلاة، وحين أراد أن يعاتب أو يذم ذم الذين يصلون ويسهون عن صلاتهم، فما الفارق

بين إقامة الصلاة وبين أداء الصلاة، ما الفارق بين إتقان العمل وبين أداء العمل، ما الفارق بين إحسان العمل وأداء العمل، جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن النبي صلوات الله وسلامه عليه رأى رجلاً يصلي في مؤخرة المسجد فلما جاء الرجل ليجلس أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انتهائه من الصلاة. قال له صلوات الله وسلامه عليه: قم فصل فإنك لم تصلّ مع أن الرجل تحرك كل حركات الصلاة، عاد وصلى كما كان يصلي، ثم رجع إلى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال له صلوات الله وسلامه عليه: «قم فصل فإنك لم تصلّ»⁽¹⁾، فعاد الرجل الثالثة فصلى، وعاد إلى مكانه في المجلس، فقال له: قم فصل فإنك لم تصلّ. الرجل تحرك كل حركات الصلاة، إذاً هناك فرق بين إقامة الصلاة وبين أداء الصلاة. هذا رجل آخر يصلي أمام سيدنا حذيفة بن اليمان ر، فلا يقيم صلاته يقول له حذيفة: (منذ كم وأنت تصلي هذه الصلاة قال: منذ أربعين سنة. قال حذيفة: ما صليت ولو مت وأنت تصلي هذه الصلاة لمت على غير فطرة محمد صلى الله عليه وسلم) وهذا سيدنا عمر بن الخطاب ر يقف يوماً على المنبر ليقول: (إن الرجل ليثيب عارضاه في الإسلام وما أكمل الله تعالى صلاة واحدة) ليثيب عارضاه... إذاً فرق كبير بين إقامة الصلاة وبين أداء الصلاة. فرق كبير بين إتقان الفرائض وبين فعل الفرائض، فما معنى إقامة الصلاة.

قال القرطبي المفسر: (إقامة الصلاة: أدائها بأركانها وسننها وهيئاتها في أوقاتها)، (إقامة الصلاة: أدائها بأركانها وسننها وهيئاتها في أوقاتها)، مرة ثالثة (إقامة الصلاة أدائها بأركانها وسننها وهيئاتها في أوقاتها) هذه الإقامة تحصل للمرء إذا توافرت عنده ثلاثة أمور. لن يستطيع واحد منا أن يقيم الصلاة حتى تتوافر عنده ثلاثة أمور، وإلا فلا يولد أحد وهو يحسن الصلاة، والكبير لا يصير محسناً لإقامة الصلاة إن لم تتوافر عنده ثلاثة أمور: الأمر الأول: التربية العلمية. إذا كنت إلى الآن لا تعرف أركان الصلاة، فكيف ستقيم الصلاة؟ إذا كنت إلى الآن لم تضبط أوقات الصلاة، فكيف ستقيم الصلاة؟ - التربية العلمية - إذا كنت إلى الآن لا تعرف أركان الصلاة فكيف ستقيم الصلاة، إذا كنت إلى الآن لم تتعلم ولا لمرة سنن الصلاة إذا كنت إلى اليوم لم تسمع شيئاً عن هيئات الصلاة إذا كنت لم تضبط أوقات الصلاة فكيف ستقيم الصلاة - التربية العلمية - لذلك قال علماء الإسلام قاطبة قالوا: (أن يعرف الرجل المسلم فرائض الصلاة، وسنن الصلاة، وهيئات الصلاة، ومبطلات الصلاة، ومفسدات الصلاة، وأوقات الصلاة، هذا فرض عين

(1) أخرجه البخاري : 757 ، ومسلم : 885 ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

على كل مسلم) ليس الأمر كمالياً ولا تزويقياً ولا اعتبارياً؛ إنه دين أرأيتم محراب المسلمين كيف يكتبون عليه {إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً} [النساء:103] هل كتبوها اعتباراً؟.. أجمع علماء المسلمين - أيها الأخوة - أن كل مسلم بلغ مبلغ الرجال يجب عليه أن يتعلم أركان الصلاة، هذه ليست مهمة شيخ المسجد، ولا إمام المصلى، إنها مهمة كل مسلم وإلا - بالله عليك - كيف ستقف بين يدي الله تعالى يوم القيامة، ويقول لك: يا عبدي أما تعلمت أركان صلاتي. حفظت ما حفظت من شؤون الدنيا ألم تحفظ شيئاً عن مبطلات الصلاة، كيف وقفت بين يدي إذا؟.. أيها الأخ الكريم كيف تقيم الصلاة إذا لم تتعلم أركان الصلاة، وسنن الصلاة، وهيئات الصلاة، أذهب إلى شيخ قل له: تعال أعطني دروساً خصوصية في إقامة الصلاة. أرأيت لو لم تتقن اللغة الإنكليزية، لو أن ولدك لم يتقن العمل على الحاسب، لماذا نسارع جميعاً في تعلم هذه الأمور 000؟ ثم إذا أخطأ أحدنا في صلاته، وقلت له: يا أخي هذا يخالف مفسدات الصلاة، يقول لك: الدين يُسرُّ لماذا لا تكون اللغة الإنكليزية يُسرُّ والكمبيوتر يُسرُّ لماذا فقط الدين يُسرُّ، نعم الدين يُسرُّ لكن وفق قواعد وفق ضوابط، أما أن يحول الدين إلى ميوعة، ثم يقول: الدين يسر، فيذهب الدين من بين أيدينا ونحن لا ندري أن ديننا قد ذهب. إن أحدنا لن يستطيع أن يقيم الصلاة إلا إذا تحصل على ثلاثة أمور، الأمر الأول: التربية العلمية والأمر الثاني: **التربية الروحية**؛ وهي: تربية تزكي روح المسلم، وتربط قلبه بالله عز وجل حتى يستحضر - إذا وقف بين يدي الله في الصلاة - بين يدي من يريد أن يقف، حتى يستحضر في صلاته معاني الصلاة الروحية، فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يعبث بيده في وجهه كثيراً في الصلاة فقال: «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه»⁽¹⁾، وهذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما يعلم الرجل الذي صلى ثلاث مرات وقال له: قم فصلّ فأنت لم تصلّ يقول صلوات الله وسلامه عليه: «إذا قمت للصلاة فأسبغ الوضوء - أي: أحسن الوضوء - ثم استقبل القبلة ثم كبر ثم أقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم أركع حتى تطمئن راکعاً - أرجو أن تلاحظوا كلمة تطمئن - ثم أركع حتى تطمئن راکعاً، ثم ارفع حتى تعتدل وتطمئن قائماً، ثم أسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم أفعل ذلك في صلاتك كلها»⁽²⁾، إن

(1) أخرجه الحكيم الترمذي في (نوادير الأصول)، انظر (الجامع الصغير) : 7447 ، عن أبي هريرة رضي الله عنه

(2) أخرجه البخاري : 757 ، ومسلم : 885 ، عن أبي هريرة رضي الله عنه

الاطمئنان السكينة الخشوع لاقط كل حركات الصلاة، وها أنا أنقل إليكم بعض صور الخاشعين في صلاتهم.

- كان سيدنا علي بن أبي طالب π إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه فقيل له: مالك يا أمير المؤمنين، فيقول: جاء وقت صلاة عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها.

- كان علي بن الحسين إذا توضأ اصفر لونه، فيقال له في ذلك: ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء فيقول: أتدرون بين يدي من أريد أن أقف.

- تروي السيدة عائشة تقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه⁽¹⁾.

- كان أحد الصالحين يقول: ما دخلت في صلاة قط فأهمني فيها إلا ما أقول وما يقال لي. إلا ما أقول وما يقال لي. في الصلاة حديث أنت تحدث ربك، وهو يحدثك أسمعته في يوم من الأيام.

- أوصى الله تعالى موسى ص : يا موسى إذا ذكرتني فاذكرني وأنت تنتفض أعضائك وكن عند ذكري خاشعاً مطمئناً، وإذا ذكرتني فأجعل لسانك من وراء قلبك، وإذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذليل ونادني بقلب وجل ولسان صادق.

لن يتحصل أحدنا على إتقان الفرائض حتى ينال ثلاثة أمور؛ الأمر الأول: التربية العلمية، والأمر الثاني: التربية الروحية، والأمر الثالث: **التربية العملية**، فلا بد أن تثمر فينا الصلاة آثاراً عملية بعدها، أتذكرون امرأة مصلية دخلت النار في هرة حبستها، أتذكرون امرأة مصلية دخلت النار لأنها تؤذي جيرانها، ما فائدة الصلاة إذا لم تنه عن الفحشاء والمنكر؟ ما حاجة الله إلى صلاة صاحبها يؤدي الخلائق؟ كيف ترفع صلاة عبدٍ إلى الله وصاحبها أفاك نام يوقع بين الناس العداوات؟ ما حاجة الله إلى صلاة أحدنا إذا كان يؤدي الناس في تجارته؟ والكل يقرأ في القرآن الكريم { **وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** } [العنكبوت: 45] قال سيدنا داوود في مناجاته (إلهي من يسكن بيتك وممن تتقبل الصلاة؟ فأوحى الله إليه: يا داوود إنما يسكن بيتي، وأتقبل الصلاة من تواضع لعظمتي، وقطع نهاره بذكري، وكف شهواته عن محارمي. يطعم الجائع ويؤوي الغريب، ويرحم المصاب، فذلك الذي يبرق نوره في

(1) أخرجه الأزردى في (الضعفاء) من حديث سويد بن ؟؟؟؟ مرسلًا . انظر (تخریج أحادیث الإحياء) للعراقي : 6.

السموات كالشمس إذا دعاني لبيته، وإذا سألني أعطيته، إنما مثله في الناس كمثل الفردوس في أعلى الجنان).

أيها الأخوة الكرام: هذه هي إقامة الصلاة أدائها بأركانها وسننها وهيئاتها وخشوعها في أوقاتها مع تحصيل ثمراتها، بالله عليكم أيولد أحدنا محسناً للصلاة هكذا أليس المرء منا محتاج إلى من يدربه ويعلمه ويعينه؟ أليس هو بحاجة إلى صحبة صالحين يرشدونه إلى الخير؟ أم أن خطبة الجمعة تكفي كل المسلمين وبساعة واحدة يحصل أحدنا كل أركان الدين. أظن أن الفارق بات الآن واضحاً بين إقامة الصلاة و بين أداء الصلاة، بين إتقان الفرائض و بين أداء الفرائض.

أختم الخطبة بقول لحاتم الأصم، وأرجو أن نراقب هذا، القول حتى نصلي بعد قليل ركعتين كما كان حاتم الأصم يصلي ركعته. يقول حاتم الأصم عندما سئل عن صلاته فقال اسألوه كيف تصلي فقال: (إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأحسننت الوضوء وأتيت الموضع أريد الصلاة فيه فأقعد حتى تجتمع جوارحي - أي: يخرج من قلبه هم الدنيا - نجلس دقائق نفكر هل يوجد شيء للدنيا أفكر فيه قبل أن أقيم الصلاة؟ هل يريد الشيطان أن يوسوس لي بشيء يحدثني بشيء من أمر دنياي قبل أن أكبر تكبيرة الإحرام؟ قال: (أجلس دقائق حتى تجتمع جوارحي - يعني تجتمع على الله - ، ثم أقوم لصلاتي وأجعل الكعبة بين حاجبي - يراقب كأنه أمام الكعبة - والصراط تحت قدمي - والصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف من زلت قدمه عليه زل إلى النار والعياذ بالله - قال: وأجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي، والجنة عن يميني والنار عن شمالي، وملك الموت ورائي أظنها آخر صلاة لي). - ملك الموت ينتظر عندما أسلم سيقبض روعي إذا لا داعي لأن تفكر كثيراً في تجارتك ولا داعي أن تفكر كثيراً في الموعد الذي ربطته بعد صلاة الجمعة، ملك الموت وراء رأسك عندما تنتهي سيأخذ روحك - أظنها آخر صلاة لي ثم أقوم بين الرجاء والخوف أكبر تكبيراً بتحقيق - عندما أقول الله أكبر أنا أحقق هذا المعنى لا يوجد أكبر من الله لا مالي ولا زوجتي ولا جاري ولا جيراني ولا أصحابي الله أكبر من الجميع - أكبر تكبيراً بتحقيق وأقرأ قراءة بترتيل يعني بهدوء وأركع ركوعاً بتواضع وأشعر أنني أركع لله وأسجد سجوداً بتخضع ثم أطلب من الله أن يتقبلها مني أخاف أن لا يتقبل مني الله هذه الصلاة السيئة) هكذا يظن نفسه هذا الرجل الصالح.

أيها الأخوة الكرام إنك تصبح ولياً بأمور ثلاثة (ترك الحرام - إتقان الفرائض - أداء
النوافل)

الحمد لله رب العالمين

إتهام النفس

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل: { فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن أتقى } [النجم:32].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في صحيح ابن حبان: «لو يؤاخذني الله - أنا وابن مريم - بما جنته هاتان - ويشير إلى أصبعيه الشريفتين - لعذبنا الله ثم لم يظلمنا شيئاً»¹

عنوان خطبة اليوم: **اتهام النفس**، أيها الأخوة الكرام نعود إلى سلسلة كيف تصبح ولياً وهذه الخطبة التاسعة من هذه السلسلة وذكرنا أنك تصبح ولياً بثلاثة أمور (ترك الحرام أولها، إتقان الفرائض ثانيها، أداء النوافل ثالثها).

لماذا لا تصير ولياً000؟

أيعجز أحدنا أن يترك الحرام000؟

أو أن يتقن الفرائض000؟

أو أن يؤدي شيئاً من النوافل000؟

بهذه الثلاثة يتولاك الله عز وجل وتتولاه، غير أن للأولياء سمات ست:

● السمة الأولى: مجالس العلم، تجدهم في مجالس العلم.

● السمة الثانية: ذكر الله تعالى.

● السمة الثالثة: محبة الصالحين.

● السمة الرابعة: الأدب.

● السمة الخامسة قبل الأخيرة: اتهام النفس.

سمة الأولياء اتهام النفس، وعلامة المعصية، الرضا عن النفس، يقول ابن عطاء الله الإسكندراني (أصل كل طاعة ورفعة وعفة اتهام النفس، وأصل كل دناءة وهبوط الرضا عن النفس) إن الرضا عن النفس هو اتخاذ قرار بالوقوف، أرأيت إلى الطالب إذا رضي

(1) أخرجه ابن حبان : 659.

عن دراسته لن يزداد من التحصيل، أرأيت إلى الطبيب إذا اكتفى بمادته العلمية، ورضي عن مستواه العلمي لن يبحث عن مزيد، أرأيت إلى التاجر إذا قنع بما وضعه من رصيد في البنوك ولم يزد من العمل سيقف، ولأن الحياة لا تقف وهو واقف معنى هذا أنه يتراجع، فالرضا عن النفس سبب لتراجعك، وسبب لتقصيرك، وسبب لوقوعك في المعاصي.

في القرآن الكريم إذا بحثت عن الذين رضوا عن أنفسهم لوجدتهم الأبالسة والفراعنة والمنافقين:

● إبليس - في القرآن الكريم - قال: أنا خير منه، أنا جيد، أنا حسن، أفضل مني من يكن، أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين.

● فرعون - في القرآن - قال: أنا ربكم الأعلى - والعياذ بالله تعالى - رضي عن نفسه و رضي عن نفسه و رضي عن نفسه حتى ادعى الربوبية.

● صاحب الجنة الظالم لنفسه في سورة الكهف الذي تقرأون قصته في كل أسبوع، قال: أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً، اعتر بنفسه فرضي عن نفسه.

لذلك كان أهل التربية الروحية يقولون (ثلاث كلمات لا تقلها: أنا، لي، عندي) أنا ولي وعندي هذه الكلمات الثلاثة لا تقلها، وهي كناية عن الذين اعتزوا بأنفسهم، فإبليس قال: { أنا خير منه } [الأعراف:12] فهبط وفرعون قال: { أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي } [الزخرف:51] فهبط، وقارون قال: { إنما أوتيته على علم عندي } [القصص:78] فكان النتيجة { فحسفنا به وبداره الأرض } [القصص:81] إن العتاة هم الذين يرضون عن أنفسهم أما الصالحون أما الصالحون أما الأنبياء أما المقربون فتراهم باستمرار يتهمون أنفسهم فيزدادون قرباً من الله تعالى:

● هذا سيدنا آدم أبو البشر عندما هبط من الجنة قال مع أمنا حواء { ربنا ظلمنا أنفسنا } [الأعراف:23] نحن طاغون نحن مخطئون نحن مقصرون { ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين } [الأعراف:23].

● وهذا هو سيدنا ابراهيم وسيدنا إسماعيل والدا سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم إبراهيم ن أبو الأنبياء وإسماعيل أبه لم تجف أيديهما من بناء الكعبة، مازال الطين على يديهما لقد بنيا أعظم بيت في الأرض بنيا الكعبة المشرفة، ماذا قالوا في النهاية في نهاية العمل { وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا } [البقرة:127] يخافان

أن لا يتقبل الله، أنتما بنيتما أفضل بيت على هذه الأرض قالا {ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك} [البقرة:127-128] يعني منقادين لك {ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا} [البقرة:128] قالا تب علينا وهما بينان الكعبة، هل كانا في معصية؟.. هل كانا في مكان لا يرضي الله تعالى؟... يقولان ربنا تب علينا نحن مقصران نحن مخطئان نحن نتهم أنفسنا {وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم} [البقرة:128].

• هذا هو سيدنا يونس - في القرآن الكريم - يقول: {لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين} [الأنبياء:87].

أنا مخطئ يا رب... أنا مقصر يا رب... أتهم نفسي بالتقصير وهو النبي وهو المعصوم.

• وهذا هو سيدنا يوسف، كما تقرؤون في نهاية سورة يوسف، وبعد جهاد ومشقة، وبعد مكابدة للفتن، والعناء بعد السجن، وبعد الجب، وبعد فتنة امرأة العزيز بعد أربعين سنة من الفتن، ويتحمل في سبيل الله ما تحمل، وها قد جاءت أمه وأبوه، وها قد صار عزيز مصر، وها هو قد وضعهما على العرش وها قد جاء أخوته له يسجدون وله يخضعون ماذا قال: {فاطر السماوات والأرض} يخاطب الله {فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقتني بالصالحين} [يوسف:101] أنا لست صالحاً يارب ألحقتني بالصالحين، يرى نفسه أنه ليس من الصالحين إنه يتهم نفسه هذه هي ثم هي سمة الصحابة الكرام.

• أبو بكر وما أدراك ما أبو بكر كان إذا مدحه الناس يقول (اللهم أجعلني خيراً مما يقولون وأغفر لي ما لا يعلمون) أنا عندي ذنوب هم لا يعلمونها يارب أغفرها لي.

• وهذا عمر «لو كان بعدي نبي لكان عمر»⁽¹⁾ كان يقول (ليت أم عمر لم تلد عمر) ليت أمي لم تلدني يدخل داره فيخاطب نفسه ويقول (عمر ابن الخطاب - يعني يا عمر - لتتقين الله أو ليعذبك) الله أكبر إنه يتهم نفسه لذلك مازال أبو بكر في ازدياد وما زال عمر في ازدياد.

• ذكروا عن الفضيل ابن عياض وقد ترجموا له في كتب التراجم عندما يذكرون الفضيل يقولون: هو إمام الحرم وشيخ الإسلام قدوة العلماء الأعلام كان إماماً ربانياً كبيراً

(1) أخرجه الترمذي : 3838 ، عن عقبه بن عامر رضي الله عنه .

الشان ثقة نبيلاً عبداً زاهداً جليلاً، هذا الفضيل الذي قال الناس فيه ما قالوا وقف مرة في عرفة في الحج يوم الحج الأكبر عرفة فكان أن قال لتلامذته (ما أشرف هذا المكان لولا أنني واقف فيه) يرى نفسه أنه هو الذي يعكر كل هذا الموقف وكان إذا خلا بنفسه قال (يا فضيل خلقك الله وأفرغ عليك نعمة ظاهرة وباطنه وحرسك بعينه وصرف وجوه الناس إليك وأنت تتشغل عنه من أنت؟... ما أنت؟... أما ترى القبور؟... أما ترى كيف يسن فيها الأموات؟... ما عساك أن تقول لسيدك؟...) قال: ثم شهق شهقة وسقط مغشياً عليه.

الصالحون يتهمون أنفسهم لأنهم يقصرون، ولذلك لا يزالون في زيادة، وفي خير وفي نماء ولن يشبع مؤمن من خير قط.

● وعبد الله بن المبارك، أيها الأخوة هذا الرجل قال فيه الإمام النووي قال: (هو الإمام المجمع على إمامته وجلالته في كل شيء، والذي تستنزل الرحمة بذكره، إذا أردت أن تنزل عليك الرحمة أذكر عبد الله بن المبارك والذي تنتزل الرحمة بذكره وترتجى المحبة بحبه) هذا عبد الله بن المبارك مرة أيضاً وقف على عرفة فدعا وقال: (اللهم لا ترد السائلين من أجلي) يقول أنا لست جيداً لكن ما ذنب هؤلاء الناس، هؤلاء كلهم صالحون كلهم خيرون كلهم نافعون كلهم لهم درجات، لكن أنا سيء لا تردهم من أجلي، وكان يقول: (أحب الصالحين ولست منهم) والناس يقولون عنه هو الذي تستنزل به الرحمة يقول: (أحب الصالحين ولست منهم وأبغض الطالحين وأنا شر منهم) والشافعي نظم هذه الكلمة فقال:

أحب الصالحين ولست منهم لعلي أن أنال بهم شفاعاة

وأكره من بضاعته المعاصي وإن كنا سواء في البضاعة

أيها الأخوة الكرام سمة الأولياء بأنهم يتهمون أنفسهم.

جاء في بعض أخبار سيدنا داوود أن داوود سأل ربه: (يا رب كيف الوصول إليك) ألا تحب أن تصل إلى الله. قال: (يا داوود خلّ نفسك وتعال، إذا أردت أن تأتي فتعال إلي، وقد جعلت نفسك خاضعة لأوامري تلتزم بشرعي وتلتزم بكلامي).

والحمد لله رب العالمين

**

أداء النوافل

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل: {ومن الليل فتهجد منه نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً} [الإسراء:79] وقال ربنا في وصف المحسنين: {كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون- وبالأسحار- هم يستغفرون- وفي أموالهم حق للسائل والمحروم} [الذاريات:17-19].

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن معدان ابن أبي طلحة قال: لقيت ثوبان خادم رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقلت: أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة، فسكت، ثم سأله، فسكت، ثم سأله الثالثة فقال: سألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم: أخبرني بعمل أعمله يدخلني الجنة، فقال: عليك بكثرة السجود، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة، قال معدان: ثم لقيت أبا الدرداء فسألته، فقال لي مثل ما قال لي ثوبان⁽¹⁾.

وأخرج مسلم عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فأتيته ذات ليلة بوضوءه أي: الماء الذي يتوضأ به، فقال لي يا ربيعة سلني سأدعو لك أسألني، وأريد أن أسألكم لو أن واحداً فينا قال له سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم سلني سأدعو لك ماذا سنقول؟... قال: يا ربيعة سلني، قال: أسألك مرافقتك في الجنة هذا ما أحججه قال: أغير ذلك ما رأيك بشيء آخر، قال: هو ذلك يا رسول الله أمنيته في الدنيا والآخرة هذا الأمر أسألك مرافقتك في الجنة فقال له النبي صلى الله عليه و سلم: «فأعني على نفسك بكثرة السجود»⁽²⁾ أنا سأدعو لك لكن أنت ساعدني.

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ر قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم أن الله تعالى قال: «من عادى لي ولياً فقد آذنته في الحرب - أي أعلنت عليه الحرب - وما تقرب عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه - أحب شيء إلى الله الفرائض - ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره

(1) أخرجه مسلم : 1093 .

(2) أخرجه مسلم : 1094 .

الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألتني لأعطينه، وإن إستعاذني لأعيزنه(1).

أيها الأخوة الكرام: نحن نتحدث في سلسلة كيف تصبح ولياً، وذكرنا بأنك تصبح ولياً بثلاثة أمور (ترك الحرام - إتقان الفرائض - أداء النوافل) انتهى (ترك المنهيات - فعل المأمورات - أداء شيء من النوافل). تكلمنا عن ترك الحرام، وعن إتقان الفرائض، والحديث اليوم عن إتيان وأداء النوافل.

النافلة: هي ما زاد عن الفريضة من سنن و تطوعات، وأنت تجد الحديث عن النوافل واسعاً في كتب الشريعة لأهميتها من جهة، و لكثرة نصوصها من جهة أخرى، لذلك ترى الفقهاء والمحدثين يعقدون فصولاً من صفحات كثيرة تتحدث عن صلاة النافلة، وعن صوم النافلة، وعن صدقة النافلة، وعن عمرة نافلة يملؤون صفحات عدة بالحديث عن عمرة التطوع، وعن صدقة التطوع، وعن صوم التطوع، وعن صلاة التطوع وهكذا، هذا من جهة كثرة النصوص، أما من جهة أهمية النوافل فذلك لأن النوافل ربما كانت سبباً في نجاتك يوم القيامة، فقد جاء في حديث أبي هريرة r عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته أول ديوان يفتح الصلاة، فإن صلحت فقد فاز وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر فإن انتقص من فريضته شيئاً يسألونك عن الفرائض إن انتقص من فريضته شيئاً، قال الرب: أنظروا هل لعبي من تطوع عبدي كان يصلي بالنوافل فيكمل بها ما أنتقص من فريضته قال ثم يكون عمله على ذلك ثم يسألونه عن صوم الفريضة إن نقص يسألونه عن صوم النافلة ثم يسألونه عن صدقة الفريضة إن انتقصت يسألونه عن النافلة ثم يكون سائر عمله على ذلك»(2). فهاهنا كانت النافلة سبباً في نجاته يوم القيامة وكذلك فإن النافلة كانت سبباً لمحبة الله، فقد مر بالحديث الذي سبق «ما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه»(3) أي منزلة أعلى وأسمى من أن تنجو يوم القيامة ثم يحبك الله ألك وسام أشرف وأعلى من أن تدعى يوم القيامة مع المحبين والمحبوبين، أي أمل تنشده أعلى من أن يرحلرك الله عز وجل عن النار ثم يكتبك عنده محباً ومحبوباً أي سند تستند إليه في دنياك وأخرتك أقوى من الله عز وجل وقد قال لك: إذا أتقنت فرائضك وأديت النوافل إن سألتني لأعطينه وإن استعاذ بي

(1) أخرجه البخاري : 6502 .

(2) أخرجه الترمذي : 411 .

(3) أخرجه البخاري : 6502 ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

لأعيذنه إن ذلك كله في يدك الآن خصوصاً ونحن في شهر رمضان، خصوصاً ونحن في شهر الطاعات، وشهر الإقبال على الله، أين نوافلك بالليل؟ أين صلاة التهجد؟ أين صدقات النافلة، الآن تعالوا بنا نصلح فباب الرضا قد فتح في كل ليلة من ليالي رمضان ينادي من السماء يا بادي الخير أقبل تعال تعالوا بنا نصلح، قال: إذا اصطلح العبد مع ربه نادى منادٍ في السماء هئتوا فلان فقد اصطلح مع الله

تعالوا بنا نصلح فباب الرضا قد فتح

وداو الفؤاد بالذي بسهم المعاصي جرح

المعاصي جرحت قلبك، والآن أنت مدعو إلى الإقبال على الله، فلنتساعد مع بعضنا البعض بزيادة النوافل.

هل صليت سنة الفجر القبلية؟...

هل صليت سنة الظهر القبلية والبعدية؟...

هل تصلي سنن الصلوات الرواتب؟...

هل تصلي صلاة سنة الضحى والأوابين والترابيح وقيام الليل والتهجد؟...

كم تصوم من العام من النوافل؟...

هل تحافظ على صيام الأيام البيض؟...

هل تتصدق صدقات النافلة الزائدة عن الزكاة المفروضة؟...

هل اعتمرت عمرة التطوع؟...

كل هذه الأعمال من النوافل، وهي سبب لقرب العبد من الله عز وجل، لذلك ترى النبي صلى الله عليه وسلم يحافظ عليها ويكثر منها، فها هو صلوات الله وسلامه عليه يقوم من الليل حتى تتورم قدماه⁽¹⁾، أهو بحاجة صلى الله عليه وسلم لمثل هذه الأمور، لقد غفر الله تعالى له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لكنه عبد يشعر بعبوديته لله قام الليل حتى تورمت قدماه، وهاهو يصوم حتى كانت الصحابة تقول إنه لا يفطر وهاهو يتصدق بكل الشاة التي أهديت إليه ويبقى الكتف، وها هو يعتمر أربع، عمر وكذلك سلك صحابته الكرام طريق النوافل:

(1) أخرجه البخاري : 4836 ، ومسلم : 7125 ، عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه .

- هذا ابن عمرو كان يصوم كل يوم طيلة أيام السنة فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم فأمره بأن يخفف عن نفسه وأن يصوم صوم داوود كان يصوم يوم ويفطر يوم⁽¹⁾.

- هذا سيدنا عثمان بن عفان ط يجهز جيشاً بكامله (جيش العسرة) قوامه عشرة آلاف مقاتل بثيابهم... بأحمالهم... بأسلحتهم... بمرتباتهم الشهرية... بمعونات أهاليهم يتحملها وحده سيدنا عثمان بن عفان ط يقول له سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم «ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم، اللهم إني أمسيت راضٍ عن عثمان فارضَ عنه»⁽²⁾ طيلة الليل يدعو له سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم إنها النافلة.

- هذا أبو بكر وعمر يصليان من الليل طويلاً يُسِرُّ أبو بكر ويجهر عمر فيأمرهما رسول الله صلى الله عليه و سلم بالتوسط في القراءة وهكذا سائر الصحابة الكرام ثم جاء من بعدهم من التابعين وتابعيهم.

تروي كتب السير والتراجم تقول:

- كان تميم الداري كثير التهجد. قام ليلة حتى أصبح بأية واحدة من القرآن الكريم يركع ويسجد ويبكي وهو يقرأها في صلاته وهو قائم، وهي قوله تعالى: {أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا و عملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون} [الجاثية:21] كان يقول لبيت شعري من أي الفريقين أنت من الذين اجترحوا السيئات أم من الذين عملوا الصالحات.

- تقول كتب التراجم سمي الإمام أبو حنيفة: (الوتد) لكثرة صلاته بالليل يقوم الليل طويلاً، وكأنه وتد، وقد صلى الصبح بوضوء العشاء سنوات طويلة.

- تقول هذه الكتب كان الإمام أحمد بن حنبل لا يدع قيام الليل قط.

- تقول كان الأسود بن يزيد يختم القرآن في رمضان في ليلتين كل ليلتين ختمه.. كل ليلتين ختمه.. وكان يختم القرآن في غير رمضان في كل ست ليال.

وهكذا تروي لنا عن سائر هؤلاء الأعلام، وعن سائر رجالات الأمة عن الرجال الذين خلدهم التاريخ. نحن إلى الآن نذكر أسمائهم على المنابر، نتربى عليهم، ترى إذا

(1) أخرجه البخاري : 3419 ، ومسلم : 2738 ، عن عبد الله بن شعبة بن عمرو بن العاص رضي الله عنه .

(2) أخرجه الترمذي : 3758 ، عن عبد الرحمن بن سمرة.

مت ومضى على موتك مائة عام هل سيذكر اسمك في الخير؟ الآن أنت مدعو للإكثار من النوافل حتى تبقى متصلاً بحضرة الله تعالى، ما كان الله فهو المتصل، قال مسعر ابن كدام: (قيام الليل نور المؤمن يوم القيامة يسعى بين يديه ومن خلفه). وقد ذكر عند النبي صلى الله عليه و سلم رجل ينام الليل كله لا يصلي شيئاً من النافلة فقال: «ذلك رجل بال الشيطان في أذنيه»¹، فلنجهد أيها الأخوة ما استطعنا في أداء النوافل من صلاة... صيام... صدقات... عمرة... تلاوات للقرآن... أذكار... مساعدة للخلق... قضاء حوائج العباد... لعل الله تعالى أن يكتبنا مع المحبين والمحبوبين، واعلموا أيها الأخوة أن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل، وأن الله تعالى لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفرائض.

الحمد لله رب العالمين

(1) أخرجه البخاري : 1144 ، ومسلم : 1817 ، عن ابن مسعود

الأدب

يقول- الله- تعالى في محكم التنزيل: { قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها } [الشمس:9-10] وقال ربنا: { قد أفلح من تزكى } [الأعلى:14].

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم «أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق»⁽¹⁾ وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال: يا رسول الله ما الدين؟ قال: حسن الخلق، فأعادها الرجل ثانية وثالثة، و رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: حسن الخلق⁽²⁾، قال النبي صلى الله عليه و سلم «إن أحبكم إلى الله وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً»⁽³⁾ عنوان خطبة اليوم: الأدب.

أيها الأخوة الكرام نحن في الخطبة الثامنة في سلسلة كيف تصبح ولياً وذكرنا أنك تصبح ولياً بأمور ثلاثة (ترك الحرام، إتقان الفرائض، أداء النوافل) بهذه الثلاثة تصير ولياً لله تعالى بيد أن للأولياء سمات ست يتحلون بها تراهم عندها وتراها عندهم:

- السمة الأولى: مجالس العلم.
- السمة الثانية: محبة الصالحين.
- السمة الثالثة: ذكر الله تعالى.
- السمة الرابعة: الأدب. وهي عنوان خطبة اليوم.

أيها الأخوة... الإسلام أمور ثلاثة: عقيدة وشريعة وأخلاق، ولئن اهتم الإسلام بالعقيدة فصحتها وبالشريعة فقومها، فإنه اهتم كذلك بالأخلاق فهذبها وجملها من كانت آيات القرآن الكريم تتحدث عن العقيدة حيناً وعن الشريعة حيناً آخر، فإنه تكلم عن الأدب والأخلاق أيضاً، ففي القرآن حديث عن آداب الاستئذان، وعن أدب الكلام، و أدب الطريق، وفي القرآن حديث عن الأدب مع الله، والأدب مع رسوله صلى الله عليه و سلم، والأدب مع المؤمنين، وفي القرآن حديث عن الأدب مع الوالدين، و الأدب مع الأرحام، و الأدب مع الناس أجمعين، والقرآن يحدثك عن الأدب بشكل نظري، و عن الأدب بشكل عملي،- في الحديث المنظري- { خذ المعفو وأمر بالمعروف وأعرض عن

(1) أخرجه أبو داوود : 4791 ، والترمذي : 2011 ، عن أبي الدرداء ، لكن بدون لفظ (تقوى الله).

(2) أخرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب (تعظيم قدر الصلاة) ، انظر (تخریج أحاديث الإحياء) للعراقي : 1 .

(3) أخرجه الطبراني في (الصغير) و(الأوسط) عن أي هريرة رضي الله عنه .

{الجاهلين} [الأعراف:199] هذا أدب {وإذا مروا باللغو مروا كراما} [الفرقان:72] هذا أدب {وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً} [الفرقان:63] هذا أدب {الذين هم عن اللغو معرضون} [المؤمنون:3] هذا أدب و كثير من الآيات وغيرها، أما الحديث العملي: فهي هو سيدنا إبراهيم ؑ في سورة الشعراء عندما أراد أن يُعرف بالله تعالى قال: {الذي خلقتني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي هو يميتني ثم يحييني} [الشعراء:78-81] كان سياق نظم كلمات القرآن أن يقول سيدنا إبراهيم الذي خلقتني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين والذي هو يمرضني وهو يشفين لكنه لما وصل إلى الكلمة التي تحتمل من الله معنى ناقصاً نسبها إلى نفسه قال: وإذا مرضت أنا فهو يشفيني، نسب الكمال إلى الله، ونسب مظاهر النقص إلى نفسه أدباً مع الله عز وجل.

في سورة الكهف تقرأون أن سيدنا موسى عندما صاحَبَ الخضر، وفعل الخضر ثلاثة أمور اعترض عليها موسى ؑ، نسب الخضر الكمال إلى الله، ونسب الفعل الذي ظاهره عيب إلى نفسه قال: {أردت أن أعيبها} [الكهف:79]، وقال {فأراد ربك أن يستخرجنا كنزهما} [الكهف:82] وقال: {فأردنا أن يبدلها ربهما خيراً منه} [الكهف:81] (أردت، أراد، أردنا) لما كان الأمر فيه عيب، قال: أردت أن أعيبها أنا فنسب العيب إلى نفسه أدباً مع الله عز وجل.

وهكذا أيها الأخوة تعلمنا القرآن الأدب بشكل عملي، أما سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي مليئة بالأحاديث التي تعلمنا الأدب في النظرية والعملية، بل إن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها أدب، وحسبنا في هذا أن الله تعالى قال له {وإنك لعلى خلق عظيم} [القلم:4] وهذه الآية عجيبة في تفسيرها، يقول المفسرون كثيراً من العجب في وصف أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا ينقضي، فربنا قال {وإنك لعلى خلق عظيم} وهذه جملة اسمية والجملة الإسمية عند أهل اللغة تفيد الثبات والاستمرار، أما الجملة الفعلية تفيد التغير وقال الله تعالى له (إنك) وهذه إنك تفيد التأكيد، وقال له {وإنك لعلى خلق} ولم يقل إنك ذو خلق، وحرف (على) في اللغة العربية تفيد الاستعلاء فتقول الخطيب على المنبر، يعني: أنه رقى المنبر حتى علاه وتمكن منه، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على خلق عظيم، يعني: أنه رقى الأخلاق العظيمة حتى تمكن منها وسما فوقها، وقال الله له {وإنك لعلى خلق عظيم} وهذه اللام في اللغة تفيد التأكيد، وقال ربنا في هذه الآية {خلق عظيم} ربنا يصف أخلاقه بأنها عظيمة، وكلمة العظيم تتناسب مع قائلها ربنا قال {وإنك لعلى خلق عظيم} [القلم:4].

كل أعمال رسول الله صلى الله عليه و سلم خلق فاضل، وأدب عالم صلى الله عليه و سلم، ولو أردت أن أستعرض لاستعرضت وإياكم وأنتم تعلمون الشيء من هذا، لكن حسبي أنه ورد في الصحيحين عن سيدنا أنس بن مالك π يقول خدمت رسول الله صلى الله عليه و سلم عشر سنوات فما قال لي قط: أف، أوجد رجل في العالم عشر سنوات لا يقول أف¹، ما هذه الأخلاق الفاضلة، إنه أدب سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم، وهذا هو القرآن مع الأدب، وهذه هي السنة مع الأدب.

أما عن الصحابة الكرام والسلف الصالح فحدث في أدبهم ولا تملّ، سئل سيدنا العباس عم رسول الله صلى الله عليه و سلم: أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه و سلم؟ فقال: هو أكبر مني وأنا ولدت قبله. أدب هو أكبر مني وأنا ولدت قبله⁽²⁾.

خرج عمر ليلة يتفقد الرعية فرأى ناراً موقدة في حراء ووقف، وقال: يا أهل الضوء، وكره أن يقول: يا أهل النار، أدب.

دخل المعتصم يوماً إلى رجل يزوره في مرضه، فرأى ابنه - وهو صبي - فأحب أن يمازحه، فقال: يا غلام أيهما أحسن دارنا أم داركم - المعتصم خليفة يقول للغلام الصغير يمازحه يا غلام أيهما أحسن دارنا أم داركم، فلو سألك كبير قوم أيهما أحسن داره أم دارك - قال الغلام: يا سيدي إن دارنا إذا كنت فيها أحسن يا سيدي - إن دارنا إذا كنت فيها أحسن إنه الأدب - فحلف المعتصم أن لا يبرح من مكانه حتى ينثر على رأس هذا الغلام مائة ألف درهم، إنه الأدب جر منافع كثيرة لذلك قال الصالحون (كاد الأدب أن يكون في رقي الدين) وقالوا (من زاد عليك في الأدب زاد عليك في الدين) وقالوا (حسن الأدب ترجمان العقل) وقالوا (حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن).

أيها الأخوة الكرام بعد كل هذا الحديث عن الأدب في القرآن وفي السنة وفي سيرة السلف، كيف لأحدنا أن يتخلق بالأخلاق العالية؟ ونحن - والحمد لله - نجتهد في هذا الأمر، لكن يعلق بأحدنا أحياناً بعض الأمور التي لا تليق بمكانته ولا بإسلامه ولا بانضباطه بالشرعية كيف لي أن أتلى بالأخلاق العالية، وأتلى عن الأخلاق الرديئة؟

أربع طرق تعين على اكتساب الأدب أختم بها الخطبة، وهي النتيجة العملية لهذه الخطبة، أربع طرق تعين على التحلي بالأدب صغيراً كنت أم كبيراً، غنياً كنت أم فقيراً،

(1) أخرجه البخاري : 6038 ، ومسلم : 6011 .

(2) الهيثمي في (مجمع الزوائد) : 15482 ، وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

عاملاً كنت أم تاجراً، أنت بحاجة إلى هذه الطرق الأربعة، حتى تزداد أدباً فتزداد قرباً من الله عز وجل:

● الأمر الأول: اتخذ لنفسك معلماً مريباً يريك عيوب نفسك ويبصرك بتهذيبها، فالذي أدب أبا بكر إنما هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والذي جعل من عمر إمبراطور الدنيا إنما هو معلمه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والذي خرَّجَ جيلاً من الصحابة إنما هو المعلم والمربي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاتخذ لنفسك معلماً مريباً يريك عيوب نفسك، ويبصرك بتهذيبها.

● الأمر الثاني: أصحب صديقاً صدوقاً إذا نسيت ذكرك، وإذا هممت لفعل الخير أعانك.

● الأمر الثالث: جاهد نفسك، وألهمها الخير لأن النفس أمارة بالسوء لا تحب الإلتزام بالأخلاق والانضباط بالأداب، تحب أن تتفلت فلا بد من أن تضغط على هذه النفس، حتى تتأدب فتسير وفق شرع الله.

● الأمر الرابع: والأخير سل الله تعالى أن يهبك الأخلاق الحسنة لأن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو على خلق عظيم كان يدعو الله فيقول: «اللهم حسنت خُلقي فحسن خُلقي»⁽¹⁾ وكان يدعو فيقول «للهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيء الأخلاق لا يصرف عني سيئها إلا أنت»⁽²⁾.

والحمد لله رب العالمين

(1) أخرجه ابن حبان : 959 عن ابن مسعود.

(2) أخرجه مسلم : 1812 ، عن علي .

ذكر الله تعالى

قال الله تعالى في محكم التنزيل: { يا أيها الذين آمنوا } والخطاب لكم، وربنا يناديكم، و كثيراً ما ننادي ربنا فنقول: يا رب، والآن هو ينادينا يقول { يا أيها الذين آمنوا } ترى هل نستجيب؟...

{ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون } [المنافقون:9] هذا قرار عقد في السماء { ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون } وقال ربنا: { يا أيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً } [الأحزاب:41] وقال جل من قائل: (فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) [البقرة:152] وقال جل جلاله: { والذاكرين الله كثيراً والذاكرات } [الأحزاب:35] نساء ورجال { والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا } .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله»⁽¹⁾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أمركم أن تذكروا الله تعالى» والأمر هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم «أمركم أن تذكروا الله تعالى فإن مثل ذلك، كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً حتى إذا أتى إلى حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله»² عنوان خطبة اليوم ذكر الله تعالى.

أيها الأخوة الكرام هذه هي الخطبة السابعة في سلسلة كيف تصبح ولياً، مر معنا كيف أنك تصبح ولياً بأمور ثلاثة (ترك الحرام، إتقان الفرائض، أداء النوافل) بهذه الثلاثة إن حافظت عليها فأنت ولي من أولياء الله تعالى، غير أن لأولياء سمات يتسمون بها، ست سمات تجدهم عندها وتجدها عندهم السمة الأولى مجالس العلم، والسمة الثانية محبة الصالحين، والسمة الثالثة ذكر الله، وهو عنوان خطبة اليوم.

ورد الذكر و اشتقاقته في (262) موضع، في (262) موضع ورد في القرآن يقول الله تعالى أذكركني، (262) مرة في القرآن، يقول ربنا لنا: يا عبدي لا تنس ذكرني، إذا

(1) أخرجه الترمذي : 3437 ، عن أبي الدرداء.

(2) أخرجه الترمذي : 3023 ، عن الحارث الأشعري.

كانت صحائف القرآن قريبة من (600) صحيفة فالذكر معروض عليك في (262) موضع يعني أنه كل ما مر عليك صحيفتين ونصف على التقريب يقول لنا ربنا: يا عبدي لا تنس تذكرني، وورد الأمر بالذكر في القرآن في (48) موضع، تصوروا أن الله يأمرنا (48) مرة بأمر أفلتزم أم لا، أمرنا الله بالذكر الجماعي، و بالذكر الفردي. أمرنا بالذكر الجهرى، و بالذكر الخفي. أمرنا بالذكر الصباحي، و بالذكر المسائي، وورد الذكر في السنة الشريفة في مئات الأحاديث ومئاتها، حتى أن الإمام النووي جمع كتاباً كاملاً كله يتحدث عن الذكر سماه (الأذكار)، جاء الكتاب في (470) صحيفة كلها تتحدث عن الذكر، وفضل الذكر، وكيف الذكر، وآداب الذكر، وقضاء الذكر، وأحوال الذكر، وأنواع الذكر، وأذكار الصلاة، وأذكار الصيام، وأذكار الجهاد، وأذكار الحج، وأذكار المساء، وأذكار الصباح، وهكذا (470) صحيفة كلها أحاديث تتكلم معك عن الذكر، كان أهل الشام يقولون: (بيع الدار واشتري الأذكار) لو بعت دارك واشتريت كتاب الأذكار فأنت راجح.

أجمعت مدارس التربية الروحية، وشيوخ التزكية النفسية على أهمية الذكر وضرورته. قال سيدنا أبو الدرداء: (إن الذين ألسنتهم رطبة من ذكر الله تعالى يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك) قالت زوجته أم الدرداء: (طلبت العبادة في كل شيء فما وجدت شيئاً أشفى صدري ولا أفضل من مجالس الذكر) لعمري بنفس هذا البيت الذي فيه أبا الدرداء الذكر وفيه أم الدرداء الذكرة يقول الزوج (إن الذين ألسنتهم رطبة بذكر الله تعالى يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك) وتقول الزوجة: (طلبت العبادة في كل شيء فما وجدت شيئاً أشفى لصدري ولا أفضل من مجالس الذكر)

من هنا - أيها الأخوة - كان كل واحد من المسلمين في أسلافنا يلتزم يومياً وظيفته في الذكر يحاسب نفسه عليها أداها أم قصر بها، فهذا يسبح في اليوم (1000) تسبيحة.. وظيفته يومية لا ينام حتى يؤدي هذه الوظيفة، وهذا يهمل في اليوم (1000) تهليله، وهذا يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم (500) مرة، وهذا يقول: الله... الله... الله (500) مرة، كل واحد من المسلمين كانت له وظيفة في الذكر، هل لك وظيفة في الذكر؟... أو أنك تذكر على التيسير، إن كان عندك فراغ ذكرت، وإن شغلت بالطعام والشراب والمال لم تذكر الله تعالى.

أهل الشام - أيها الأخوة - جعلوا من أسماء وظائف الذكر أسماء لعائلاتهم، هناك عائلات في دمشق كل العائلة موسومة بإسم وظيفة الذكر ففي الشام عائلة النقشبندي، و

النقشبندي مراد بها مدرسة تربوية تعتمد بالذكر على قولك: الله... الله... الله، وفي الشام عائلة الشاذلي، و الشاذلي مدرسة تربوية في الذكر تعتمد على الذكر قولك: لا إله إلا الله، وفي الشام عائلة الرفاعي، و عائلة القادري، و عائلة الكيلاني، و الجيلاني، والمولوي، والصوفي، والسلفي... وغيرها من العوائل. أرأيتم إلى أسلافنا كل حياتهم ذكر، حتى اسم العائلة صار اسماً لذكر الله تعالى، هل لك وظيفة في الذكر؟... أو أنك مشغول؟... الحياة ملأتك بمشاغلها فلم تستطيع أن ترفع رأسك للسماء وتقول يا الله، إنما جاءت بركة الشام -أيها الأخوة- من كثرة الذكر والذاكرين، ومن كثرة العلم والمتعلمين، قل لي بربك هل أنت محافظ على هذه البركة؟...

فاختارهم ورضي بهم خُدّاما	الله قوم أخلصوا في حبه
أبصرت قوماً سجداً وقياماً	قوم إذا جن الظلام عليهم
ويكابدون لدى النهار صياماً	يتلذذون بذكره في ليلهم
ويبوؤون من الجنان خياماً	فسينعمون عرائس بعرائس
وسيسمعون من الجليل سلاماً	وتقر عينهم بما أخفي لهم

أيها المسلمون.. في الذكر (100) فائدة. الذكر له (100) فائدة كل واحدة منها أكبر من أختها، سأذكر خمساً أنهى بذكرها الخطبة، الفائدة الأولى وهي أعظم الفوائد وهي أجلها، ولو لم يكن في الذكر إلا هي لكفتك، ولو أنك دفعت حياتك كلها لتحصلها لكنت رابحاً بدفع حياتك لتتال هذه الفائدة.

* الفائدة الأولى للذكر: إنك إذا ذكرت الله فإن الله سوف يذكرك، الله في عرشه ومجده وملائكته سوف يذكر اسمك وسوف يقول: عبدي فلان أنا راضٍ عنه، كم تدفعون وكم تبذلون لأجل أن يذكر الله أسمائكم في السماء { فاذكروني أذكركم } [البقرة: 152] اذكروني أذكركم برحمتي، أذكركم بلطفي، أذكركم ببيري، أذكركم بعطفي، في الحديث القدسي في الصحيحين «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملئٍ ذكرته في ملئٍ خير منهم»⁽¹⁾.

* الفائدة الثانية للذكر: الذكر ينجي من عذاب الله تعالى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه و سلم

(1) أخرجه البخاري : 7405 ، ومسلم : 6805 ، عن أبي هريرة.

«ما عمل آدمي عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله تعالى»¹

* الفائدة الثالثة للذكر: الذكر مع البكاء يدعوك لكي تكون تحت ظل العرش يوم القيامة يوم الفرع الأكبر، كثيراً منا يحفظ حديث السبعة الذين يظلمهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، فيهم رجلٌ ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، سيكون تحت ظل العرش يوم القيامة.

* الفائدة الرابعة للذكر: الذكر يدعُ الذاكر قريباً من مذكوره. إذا ذكرت ستصير قريباً من المذكور. قال الله تعالى في الحديث القدسي: «أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه» الله سيكون معك، أنا مع عبدي معه ما ذكرني وتحركت بي شفتاه، وفي الأثر: «أهل ذكري أهل مجالستي».

* الفائدة الخامسة للذكر: والأخيرة وهي خمسة فوائد من مئة، الذكر أصل موالاته الله، فإذا أردت أن تصير ولياً فشعارك وسمتك أن تكون في الذكر والذاكرين، فالذكر أصل موالاته الله عز وجل كما أن الغفلة عن الذكر أصل معاداة الله تعالى ورأسها - والعياذ بالله - قال حسان بن عطية «ماعادى عبد ربه بشيء أشد عليه من أن يكره ذكره، أو يكره من يذكره».

أيها المسلمون أخشى ما نخشاه على تارك الذكر لأي سبب من الأسباب، بسبب مشاق الحياة. بسبب تبعاته الدنيوية. بسبب التزاماته العظيمة في الأرض. أخشى ما نخشاه على تارك الذكر أن يناله قول الله تعالى في سورة طه: {ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا} هذا قرار جاء من السماء، هذا مرسوم صدر ولم يعدل ولم يتغير {ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا} معيشة شقاء ومعيشة تعب ومعيشة هم ومعيشة بلاء ومعيشة إصابة بنوائب الحياة والدهر {ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى} [طه:124-126]

نسأل الله العظيم أن يجعلنا من الذاكرين والذاكرات.

والحمد لله رب العالمين

(1) أخرجه أحمد : 22079 ، عن معاذ.

**

مجالس العلم

قال الله تعالى في محكم التنزيل: { يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات } وقال ربنا: { قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون } [الزمر:9].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»⁽¹⁾ مفهوم المخالفة لهذا الحديث، الذي ليس فقيهاً في الدين لعله لا يراد به الخير، عن قيس بن كثير قال: كنت جالساً مع أبي الدرداء في مسجد دمشق الذي نسميه اليوم الجامع الأموي، وأبو الدرداء مدفون في جدار القلعة كما تعلمون، كنت جالساً يوماً مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فجاءه رجل فقال: يا أبا الدرداء إني جئتك من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لحديث واحد بلغني أنك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مشى من المدينة المنورة إلى مدينة دمشق لأجل حديث واحد، ما جئت لحاجة ما عندي حاجة أخرى هنا بالشام، فقال: له أبو الدرداء إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، يعني تتواضع له وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»².

أيها الأخوة الكرام نحن نتحدث في سلسلة كيف تصبح ولياً وذكرنا بأنك تصبح ولياً في أمور ثلاثة (ترك الحرام، إتقان الفرائض، أداء النوافل) هذه ثلاثة أمور تصبح بها من الأولياء، اليوم هناك ست سمات للأولياء علامات بارزة لهؤلاء الأولياء شغل شاغل يشتغل به هؤلاء الأولياء، سنبدأ اليوم بأول سمة وأول علامة عنوان خطبة اليوم مجالس العلم إنك لا تجد ولياً إلا وهو عالم أو متعلم لذلك قالوا ما اتخذ الله ولياً جاهلاً الله عليم لا يتناسب معه أن يكون أولياءه من الجهلة البعيدين عن العلم، ما اتخذ الله ولياً جاهلاً ولو اتخذ له لعلمه فالولي إما أن يكون عالماً أو أن يكون متعلماً لذلك تراه في سمة وعلامة إذا أردت أن تعثر عليه فابحث عنه في مجالس العلم.

(1) أخرجه البخاري : 71 ، ومسلم : 2392 ، عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه .

(2) أخرجه أبو داود : 3637 ، والترمذي : 2823 ، وابن ماجه : 22ص3 ، عن أبي الدرداء.

أيها الأخوة الكرام لو سئل أحدنا ماهي أكثر ثلاثة مصطلحات وردت في القرآن الكريم - وأنتم تقرؤون القرآن - أتذكرون ماهي أهم ثلاثة أمور تكررت معكم في كتاب الله، راقبوها الآن وأنتم في شهر رمضان، أكثر ثلاثة مصطلحات ترد في القرآن الكريم هي (الإيمان، العلم، العمل) هذه ثلاثة كلمات ترد معكم كثيراً في القرآن الكريم، لأن الإيمان مقرون بالعلم مقرون بالعمل، والحديث اليوم ليس عن العلم عامة فالحديث عنه يطول لكن الحديث عن مجالس العلم بالتحديد، «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم من حجره إلى مسجده الشريف فدخل المسجد فرأى حلقتين - أي جماعتين من الناس - إحدى الحلقتين يقرؤون القرآن ويدعون الله، والحلقة الثانية يتعلمون العلم ويعلمونه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: كل على خير هؤلاء يقرؤون القرآن ويدعون الله فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وهؤلاء يتعلمون العلم وإنما بعثت معلماً»¹ ومضى إلى حلقة العلم إلى درس العلم إلى مجلس العلم فجلس معهم صلى الله عليه وسلم.

أيها الأخوة الكرام عندما كان يسلم الرجل من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويأتي إلى النبي الأعظم صلوات الله وسلامه عليه يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلحق بمسجد حيّ يقول له اذهب إلى المسجد الفلاني إلى الصحابي الفلاني فقل له: علمني القرآن علمني العلم كلنا يعلم أنه في المدينة المنورة، وفي زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هناك المسجد النبوي الشريف وهو المسجد الجامع، لكن لا أدري إذا كان فينا من يعلم أن عدد المساجد في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي زمن وجود النبي صلى الله عليه وسلم كان أكثر من عشرة مساجد، أكثر من عشرة مساجد. كانت في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل مسجد إمام في كل مسجد معلم. من الصحابة إذا أسلم الرجل لا بد أن يلتحق بمجلس العلم الذي في حيّه أو قريب من داره لذلك خلال ثلاثة عشر سنة من الدعوة الإسلامية تحول الصحابة الكرام الذين كانوا أميين لا يعرفون قراءة ولا كتابة إلا ما كان من عدد قليل منهم تحولوا خلال السنوات القليلة إلى علماء فقهاء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء، لأنهم كانوا يلتحقون بمجالس العلم التي في مساجدهم، قال وهب ابن منبه (مجلس علم يتنازع فيه العلم يعني يتدارك فيه العلم يسأل فيه عن العلم ويجاب فيه عن العلم مجلس علم يتنازع فيه العلم أحب إلي من قدره صلاة) أجلس ساعة أصلي أو أجلس ساعة أطلب العلم يقول: لا، مجلس العلم، لعل أحدهم يسمع الكلمة فينتفع بها سنة أو ما بقي من عمره بكلمة واحدة تسمعها في مجلس العلم لعل حالك

(1) أخرجه ابن ماجه : 229 ، عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه

ينصلح من حال إلى حال، لعل مسارك في الحياة يتغير، لعل همته في الإقبال على الله تزداد، لعل عيوبك التي لا تستطيع أن تغيرها تنقلب في مثل هذه الساعة، وإنما مثلك من العالم كما قال سيدنا علي كرم الله وجهه: (إنما مثلك من العالم كرجل استظل بظل نخلة لا يدري متى يسقط عليه منها شيء) لعلك في أول ساعة يسقط عليك من تلك الخيرات، أو من الساعة الثانية، أو من الساعة الخامسة، أو من العاشرة، أو من المائة أنت تنتظر رحمت الله في مجالس العلم وهكذا جيلاً كاملاً سلفنا الصالح كله كان قد اقترنت أسماؤه بأسماء العلم والعلماء ومجالس العلم، قرأت كتاباً اسمه سير أعلام النبلاء هذا الكتاب مؤلف من ثلاث وعشرون مجلداً، والكتاب يتحدث عن أعلام هذه الأمة الذين ماتوا قبل (700) سنة، أو (800) سنة، أو (900) سنة، أو (1000) سنة يؤرخون، لأعلامنا ولرجالنا للناس الصالحاء، فينا وكل المذكورين داخل هذا الكتاب كلهم لهم مجالس علم، عندما يترجمون للرجل يعني يذكرون سيرته حياته يكتبون متى ولد. يكتبون ماذا عمل للعلم. لكن هناك عنوان عريض يسجلونه أسماء شيوخه أي على يد من تتلمذ، و أسماء شيوخه يعني مجالس العلم التي كان يدرس فيها. لن تجدوا واحداً من هؤلاء الأعلام إلا وله شيوخ إلا وله تلامذة، ترى بعد (500) سنة من موتنا هل سيذكر أسمائنا مع أعلام نبلاء هذه الأمة، هل سيذكرون اسمك مع أسماء شيوخك؟.. هل سيذكرون لك أسماء تلامذتك، أو أن الحياة ستطوي أسمك وسيضعونك في حفرة مظلمة تحت الأرض ويقولون: مر رجل من هؤلاء الرجال الملايين لم يترك أثراً خيراً على هذه الأرض. إن أعلامنا كلهم اقترنت أسماؤهم بمجالس العلم، يذكرون في هذا أمراً عجباً يقولون مثلاً:

● الإمام مسلم شيوخه (220) شيخاً يعني أن الإمام مسلم كان يحضر (220) درساً والأعجب

● الإمام أحمد شيوخه (292) شيخاً، والأعجب منهما

● الإمام مالك (900) نفس، وتلامذته (1400) تلميذ.

● الإمام البخاري فله من الشيوخ (1080) شيخاً، وأعجب من تقرأ عن أسماء

شيوخه

● سعد السمعاني عدد شيوخه (7000) شيخ، وهو من النوادر النوادر. ترى كم

عدد أسماء شيوخك؟...

صنفوا كتباً في المكتبة الإسلامية، انزلوا إلى مكتبة الأسد هناك رفوف من الكتب، أسماء هذه الكتب (المشيكات) معنى هذا الكتاب إن صاحب هذا الكتاب يكتب كتاباً كم من أسماء شيوخه وماذا تلقى عنهم مقاطع من الكلمات أو من الدروس أو من الأشعار أو من العلوم أو من الحكم التي أخذها، ربما جاء كتاب المشيكات مائة صحيفة كلها أسماء شيوخ، وربما جاء كتاب المشيكات مائتي صحيفة، وربما جاء في خمس مائة صحيفة، وطلبنا إليك أن تكتب كتاب للمشيكات في اسمك كم ورقة ستملاً في هذا الكتاب.

أيها الأخوة الكرام مجالس العلم هي سبب بركة الشام، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان جالساً مع أصحابه الكرام فنظر إلى الأفق نحو الشمال وقال: طوبى للشام طوبى للشام إن الملائكة باسطة أجنحتها على الشام»¹ أتدرون لماذا؟... هل لأننا نملك مواقع سياحية عالية هل لأن عندنا من الأموال ما ليس عند غيرنا؟... أبدأ لكنك لو مشيت في مدينة دمشق في رمضان خاصة، وفي غير رمضان عامة بين مساجدها وأحيائها لما وجدت حياً من أحياء المدينة إلا وفيه مجلس للعلم، ذات يوم خطر لي أن أجمع أسماء مجالس العلم التي في دمشق في أي مسجد تقام، وفي أي ساعة تقام، وما هي المادة التي يعلمونها فالذي أعجبني وأبهرنني في هذه المسألة أنني وجدت في يوم السبت عند صلاة الفجر هناك مجلس للعلم في دمشق، يوم السبت عند صلاة الظهر هناك مجلس للعلم في دمشق، يوم السبت عند صلاة العصر هناك مجلس للعلم في دمشق، يوم السبت عند صلاة المغرب هناك مجلس للعلم في دمشق، يوم السبت عند صلاة الفجر هناك مجلس للعلم في دمشق، وكذلك عند صلاة العشاء، ومثل يوم السبت يوم الأحد ثم الاثنين ثم الثلاثاء ثم الأربعاء ثم الخميس ثم الجمعة، هذا يعني أنك لو كنت فارغاً في يوم الجمعة عند صلاة العصر فهناك مجلس تذهب إليه، إذا كنت لا تفرغ إلا يوم الاثنين عند صلاة الفجر هناك مجلس إذا كان وقتك مليء كل الأسبوع ولا تجد فراغاً إلا يوم الأربعاء عند صلاة العصر هناك مجلس للعلم، هذا يعني أن لا حجة لواحد من أبناء دمشق أن يتغيب عن كل مجالس العلم المعقودة في هذه المدينة، إن بركة الشام في علماءها. في صلاحها في المنفقين فيها. في مجالس العلم المعقودة في مدينة دمشق، قل بربك هل لك مجلس للعلم تحافظ عليه.

أيها الأخوة الكرام: الحملة على الإسلام والمسلمين ظاهرة للعيان. لم تعد تخفى على واحد فينا والأمر معلن، لأنكم مسلمون سنحاربكم. لأنكم تقولون ربنا الله، سنعلنها حرباً

(1) أخرجه الترمذي : 3954 ، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه .

عليكم لأن القوم يؤمنون بالله وبسيدنا محمد صلى الله عليه و سلم ، ستشن عليكم الحروب أينما كنتم وكيفما كنتم وفي أي بلد وساعة كنتم حرب معلنة، فما هو الرد؟...

أمريكا طلبت من العالم الإسلامي جهاراً أن يوقف مجالس العلم، أن تغلق كليات الشريعة أن تعطل دورات القرآن الكريم، أن يمنع حصص التربية في مدارس أولادك، أمريكا لا تريد، أعداء الإسلام لا يريدون، اليهود وإسرائيل ترسل تعليمات وطلبات إلى الإدارة الأمريكية لا تريد أن يتعلم الأولاد الإسلام، لا تريد أن تعقد مجالس العلم، إن أكثر ما يؤرّقها هذه المناهج التعليمية الدينية، ماذا فعلت أمريكا عندما دخلت على العراق؟... أول عمل ذهبت إلى مناهج التربية لتغير هذه المناهج التعليمية لتعطل حصص التربية الدينية لتغلق بعض كليات الشريعة، ما هو الرد؟... ما هو الرد؟... الرد أن نتمسك جميعاً بمجالس العلم أن نجعل كيدهم في نحورهم، وأن تكتظ مساجدنا بمجالس العلم خارج رمضان، كما هي في رمضان ألا يفارق واحد فينا مجالس العلم، لو سألتناك من شيخك؟... لأخبرتني، لو سألتك أي مجلس للعلم تحضر؟... لأخبرتني

أما أن تقول أنا ما عندي وقت أنا أعمل، أنا عندي صفقات، أنا عندي أعمال شاغله، لا يليق هذا أيها الأخوة بالإنسان المسلم، أول سمة للأولياء مجالس العلم، من يدلك على الخير إذا لم تكن في مجالس العلم أنت مع الجماعة أقرب إلى الحق، وأنت لوحدك أقرب إلى الباطل، الشيطان من الجماعة أبعد وهو من الفرد أقرب، فتعال لنراك في مجالس العلم أبحث عن مجلس علم ترضاه عن مجلس علم يقنعك كلامه، ويشرح بكلامه صدرك، الشام مليئة والمهم أن يكون كل واحد فينا له مجلس علم على أقل تقدير، على أقل تقدير مجلس علم واحد في الأسبوع، كبيراً كنت أو صغيراً ذكراً كان أحدنا أو أنثى، غنياً كان أحدنا أو فقيراً، مشغولاً كان أحدنا أو فارغاً، شديداً كان أحدنا أو ضعيفاً مريضاً كان أحدنا أو صحيحاً، لا بد - أيها الأخوة - أن نتساعد مع بعضنا البعض لكي نحافظ كل واحد فينا على مجلس علم، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة ونزلت فيهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده»¹ والله -أيها الأخوة- السكينة التي يشعر بها المحافظون على مجالس العلم، والله لو أعطوا ملئ الدنيا ذهباً لما سوى ذلك السكون الذي يملئ قلوبهم، تعال فلنتذوق معهم، العالم يحترق، والناس اليوم يحترقون بالكذب والغش والخيانة والسرقة والإساءة والاعتداء، يحترق الناس الذين يبحثون عن السكينة

(1) أخرجه مسلم : 6853 ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

فبيحثون عنها في المخدرات فلا يجدون، فبيحثون عنها في معاشرة البنات فلا يجدون، فبيحثون عنها في بناء العمارات فلا يجدون، فبيحثون عنها في المناصب العالية فلا يلتقون بها، السكينة بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب، رسولنا ينبؤنا «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت فيهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده» ألا ترغب أن يذكر اسمك عند رب العالمين؟ ... إنها في مجالس العلم.

والحمد لله رب العالمين

محبة الصالحين

قال الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل: { هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم } [الأنفال: 62-63] عن البراء بن عازب ر قال: كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال «أي عرى الإيمان أوثق الإسلام مجموعة عره مجموعة حلقات والناس كل واحد منهم يتمسك بعروة بحلقة أتدرون أي عره الإسلام أوثق يعني حتى تتمسك بها، قالوا: الصلاة، قال: الصلاة حسنة وما هي بذاك، قالوا: الزكاة، قال: الزكاة حسنة وما هي بذاك، قالوا: صيام رمضان، قال: حسن وما هو بذاك، قالوا: الحج، قال: حسن وما هو بذاك، قالوا: الجهاد، قال حسن وما هو بذاك قالوا: فما هو؟ قال: إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وأن تبغض في الله»⁽¹⁾ أوثق عروة تتمسك بها في هذا الدين أن تحب في الله وأن تبغض في الله، وعن أبي ذر ر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله»⁽²⁾ وفي الصحيحين عن أنس أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم متى الساعة متى تقوم القيامة، قال وما أعددت لها، قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : «أنت مع من أحببت»⁽³⁾ أنت مع رسول الله النبي صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت قال أنس بن مالك ونحن في مسجد أنس بن مالك ر فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت يقول سيدنا أنس: فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، ونحن المصلين نشهد الله أننا نحب سيدنا أنس بن مالك ونحب أبا بكر ونحب عمر ونحب على رأسهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

أيها الأخوة الكرام عنوان خطبة اليوم **محبة الصالحين** نحن نتحدث في سلسلة عنوانها كيف تصبح ولياً، تصبح ولياً بثلاثة أمور ثم إن للأولياء ست سمات ست علامات تصبح ولياً (بترك الحرام، وإتقان الفرائض، وأداء النوافل) بهذه الثلاثة، غير أن للأولياء علامات يتميزون بها تراهم عند هذه العلامات، العلامة الأولى: مجالس العلم، والعلامة

(1) أخرجه أحمد : 18524 ، بلفظ أوسط .

(2) أخرجه أبو دوواد : 4599 ، عن أبي ذر رضي الله عنه .

(3) أخرجه البخاري : 3688 ، ومسلم : 6713 .

الثانية وهي عنوان خطبة اليوم: محبة الصالحين، هل أحببت رجلاً صالحاً؟... هل أنت قلبك معلقاً بالصالحين؟... إن علامة الولاية أن يكون قلبك معلقاً بالصالحين مرتبطاً بالصالحين تحبهم ويحبونك، ورحت أيها الإخوة الكرام أجمع من حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم فضائل محبة الصالحين، فرأيت أن فضائل محبة الصالحين أربعة، والطريق التي تؤدبك إلى محبة الصالحين أربعة أمور، أربع فضائل من محبة الصالحين، وأربعة أمور جالبة لمحبة الصالحين هي مواد هذه الخطبة، أما فضائل محبة الصالحين فأول فضيلة وأعظمها وأرقاها وأسمى ما تصل فيه إلى حياتك إن في الدنيا وإن في الآخرة.

* أول فضيلة أن الله سوف يحبك: رأيت إلى الخلق كلهم يحبون الله، لكن من منهم يحبه الله؟.. لو سأنا من يحب الله فينا؟.. كلنا نجيب نعم لكن من منا يحبه الله؟.. محبة الصالحين سبب لكي يحبك الله عز وجل، عن أبي إدريس الخولاني قال: دخلت مسجد دمشق (الجامع الأموي) فإذا أنا بفتى براق الثنايا وإذا الناس حوله إذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه وصدروا على رأيه، فسألت عنه فقيل: هذا معاذ بن جبل صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم فلما كان الغد هجرت أي: بگرت في القدوم إلى المسجد فوجدته قد سبقني في التهجير ووجدته يصلي، فانتظرت حتى تنقضي صلاته فجننته من قبل وجهه فسلمت عليه، فقلت له: والله إني لأحبك في الله، أنا أحبك في الله، فقال: أنا والله أحبك في الله قلت والله إني أحبك في الله فأعادها ثلاثاً وأنا أعيد الجواب والله أنا أحبك في الله، فأخذ بجذوة ردائي فجذبني إليه وقال: أبشر فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: يقول الله عز وجل: «و-جبت محبتي للمتحابين في المتبادلين في المتزاو-رين في المتناصحين في»⁽¹⁾ وجبت محبتي، إذا أحببت الصالحين أحبك رب الصالحين، عند الإمام مسلم عن أبي هريرة أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكاً في طريقه فلما أتى عليه قال: أين تريد، قال: أريد أخاً لي في هذه القرية قال: هل لك عليه من نعمة تربها - عندك تجارة معه تأتي تتفقد هذه التجارة لك عليه أموال تأتي تتفقد الأموال بينك وبينه صلة رحم - ألك عليه من نعمة تردها قال: لا غير أني أحبته في الله - هذا أخي في الله تأخينا في المسجد التقينا على طاعة الله اجتمعنا في صلاة التراويح أو الفجر في رمضان وأحببنا بعضنا بعضاً - قال: فإنني رسول الله إليك

(1) أخرجه الترمذي : 2390 ، وأحمد : 2208 ، بإسناد صحيح.

الملك فإني رسول الله إليك أخبرك بأن الله قد أحبك كما أحبته⁽¹⁾، قال العلماء: (محبة الله للعبد هي رحمته له ورضاه عنه هو إرادته له الخير) وقالوا في هذا الحديث فضل المحبة في الله تعالى: (أنها سبب لحب الله تعالى للعبد) وفيها فضيلة زيارة المصالحين والأصحاب، فالفضيلة الأولى لمحبة الصالحين هي أن الله سوف يحبك.

* الفضيلة الثانية أنك تذوق طعم الإيمان: الإيمان له طعم أيها الأخوة، هل ذقته في يوم من الأيام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، يصير إذا صلى يتذوق طعم الصلاة إذا صام رمضان يتذوق طعم الصيام، لو قطعته نصفين على أن يفطر في رمضان مستحيل أن يفطر، تذوق طعم الصيام يتذوق طعم دفع الزكاة والإنفاق في سبيل الله. لو اجتمعت الدنيا على أن يمنعه من اخراج الزكاة لما استطاعوا لأنه تذوق طعم أخراج، الزكاة ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا الله الشاهد هنا ومن أحب عبداً لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»⁽²⁾، قال النووي: (هذا حديث عظيم، وأصل من أصول الإسلام في محبة الصالحين وفضل محبة الصالحين) وعند الإمام الحاكم عن أبي هريرة ر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سره أن يجد حلاوة الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا الله»⁽³⁾.

الفضيلة الأولى لمحبة الصالحين: أن يحبك الله، والفضيلة الثانية: أن تتذوق طعم الإيمان.

* الفضيلة الثالثة قبل الأخيرة: أن تكون في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله، كلّم يحفظ أو سمع كثيراً حديث السبعة الذين يظلمهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله. واحد من هؤلاء أخوان تحابوا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، قال الإمام مالك في شرح هذا الحديث (الحب في الله من الفرائض، الصلاة من الفرائض، والصوم من الفرائض، والحب في الله من الفرائض - فريضة - هل لك رجلاً أحببته في الله؟... أو هل لك رجال أحببتهم في الله؟... الحب في الله من الفرائض) وقال مرة أخرى (الحب في الله من واجبات الإسلام) وقال الإمام النووي: (التحاب في الله من المهمات وهو من ثمرات حب

(1) أخرجه مسلم : 6549 .

(2) أخرجه البخاري : 16 ، ومسلم : 165 ، عن أنس رضي الله عنه .

(3) أخرجه أحمد : 7967 .

الله تعالى) من أحب الله أحب أحبائه، عن أبي هريرة r قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة «أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»⁽¹⁾ والذين يحبون الصالحين يكونون في ظل العرش، ووجوههم نور على منابر اللؤلؤ، عن أبي الدرداء r قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليبعثن الله أقوام في وجوههم النور على منابر اللؤلؤ يغطهم الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء، قال: فجثا إعرابي على ركبتيه وقال: يا رسول الله صفهم، قال هم المتحابون في الله من قبائل شتى، وبلاد شتى يجتمعون على ذكر الله يذكرونه»⁽²⁾ الحب في الله، سيكون وجهك كله نور، وستكون على منابر اللؤلؤ ستكون تحت ظل العرش، هل أحببت في الله؟... في تفسير ابن مسعود في قول الله تعالى { ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون } عن عمر بن الخطاب r سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن من عباد الله عبادة ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانتهم من الله تعالى، قالوا: بلى يا رسول الله خبرنا من هم، ما أعمالهم لعنا نحبهم قال: هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس»³ والحديث عند أبي داود.

فضائل محبة الصالحين أربع:

- الفضيلة الأولى: أن يحبك الله.
- الفضيلة الثانية: أن تكون تحت ظل العرش يوم القيامة.
- الفضيلة الثالثة: أنك تتذوق طعم الإيمان.
- الفضيلة الرابعة: أنك تحشر مع من أحببت.

أحبب من شئت فأنت معه يوم القيامة، إذا أحببت الصالحين أنت معهم يوم القيامة، وإذا أحببت الفجار - والعياذ بالله تعالى - أنت معهم يوم القيامة، أنت تحشر مع من أحببت، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن المتحابين لترى غرفهم في الجنة كالكوكب

(1) أخرجه مسلم : 6548 .

(2) أخرجه الطبراني عن أبي الدرداء.

(3) أخرجه أبو داود : 3527 .

الطالع الشرقي أو الغربي فيقال: من هؤلاء، فيقال: هؤلاء المتحابون في الله عز وجل»⁽¹⁾
سأل أبو ذر النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا رسول الله الرجل يحب القوم ولا يستطيع
أن يعمل بعملهم، يعني رجل يحب الأولياء ويحب الصالحين ويحب الأتقياء لكن أعماله
مقصرة عن درجة أعمالهم، الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل بعمله فما حاله في
الآخرة ما حاله في الآخرة، «قال: أنت يا أبا ذر مع من أحببت»². إذا أحببتهم رُفعت إلى
درجاتهم يوم القيامة، وقال العلماء في شرح الحديث (من أحب قوماً بإخلاص يكون في
زمرتهم وإن لم يعمل بعملهم لثبوت التقارب بين قلوبهم) وربما تؤدي تلك المحبة إلى
موافقتهم يعني يرفعه الله في الدنيا فيوافقهم في أعمالهم، وفي تفسير قول الله تعالى
{الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين} [يونس:62] الرفاق في الدنيا في الآخرة
سيكونون أعداءً، الأصحاب في الدنيا في الآخرة سيكونون أعداءً إلا المتقين، عندما فسّر
الثعلبي هذه الآية قال: (كان خليلان مؤمنان وخليلان كافران فمات أحد المؤمنين، فقال:
يا رب إن فلان صاحبي كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك وكان يأمرني بالخير
وينهاني عن الشر، ويخبرني أنني ملائكتك فلا تضله بعدي وأهده كما هديتني، وأكرمه كما
أكرمتني، انتبهوا أيها الأخوة راقبوا من تصاحبون إياك أن تصاحب فاجراً إياك وأن يعلق
قلبك بفاجر، كن مع الصالحين، الصالح إذا مات يقول: يا رب إن فلان كان يأمرني
بطاعتك وطاعة رسولك، وكان يأمرني بالخير وينهاني عن الشر، ويخبرني أنني ملائكتك
فلا تضله بعدي وأهده كما هديتني وأكرمه كما أكرمتني، فإذا مات خليله المؤمن جمع الله
بينهما فيقول الله تعالى: ليئن كل واحد منكما على صاحبه، فيقول: يا رب إنه كان يأمرني
بطاعتك وطاعة رسولك، وكان يأمرني بالخير وينهاني عن الشر، ويخبرني أنني ملائكتك،
فيقول: نعم الخليل ونعم الأخ ونعم الصاحب كان، قال: ويموت أحد الفاجرين أحد الفاسقين
أحد الكافرين أحد الشريرين يموت، فيقول: يا رب إن فلاناً كان ينهاني عن طاعتك
وطاعة رسولك، ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير، ويخبرني أنني غير ملائكتك فأسلت
يارب لا تهديه بعدي، الفاجر يسأل الله أن لا يهديك الله يوم القيامة في الآخرة فأسلت
يارب أن لا تهديه بعدي، وأن تضله كما أضلتني وأن تهنه كما أهنتني، فإذا مات خليله
الكافر قال الله تعالى: ليئن كل واحد منكما على صاحبه، فيقول الآخر للذي مات أخيراً: يا
رب إنه كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك، و يأمرني بالشر وينهاني عن الخير،

(1) أخرجه أحمد : 11829 ، عن أبي سعيد رضي الله عنه .

(2) أخرجه أبو داود : 5126 .

ويخبرني أنني غير ملائمة، فأسألك أن تضاعف عليه العذاب، أرأيت إلى الفجار وإلى حالهم {الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين} فيقول الله تعالى: بئس صاحب، وبئس الأخ، وبئس الخليل كنت فليلعن كل واحد منكما صاحبه»¹.

أيها الأخوة إياكم وأن تعلق قلوبكم بالفاجرين. احرصوا أن تعلق قلوبكم بالصالحين مهما قصرتم، ومهما تأخرتم أحبوا الصالحين، لعل الله يحشركم معهم، ولعلهم في جوف الليل يدعون لكم فتنتهض أحوالكم إلى أحوالهم.

فضائل محبة الصالحين أربع:

- الفضيلة الأولى: أن يحبك الله.
- الفضيلة الثانية: أن تتذوق طعم الإيمان.
- الفضيلة الثالثة: أن تكون في ظل العرش يوم القيامة.
- الفضيلة الرابعة: أن تحشر معهم في الآخرة.

أما الأسباب الجالبة إلى محبة الصالحين، فهي أربعة أسباب، وهنا الثمرة العملية للخطبة، ماذا علي أن أفعل؟... مطلوب منك أربعة أمور:

- السبب الأول: أن تكثر من مجالسة الصالحين وصحبتهم: المثل العامي قال: (البعيد عن العين بعيد عن القلب) إذا كنت لا أراك ولا تراني، ولا ترى صاحبك ولا يراك كيف تحبه؟... أكثر من مجالسة الصالحين ومن صحبتهم، وهي خطوة مهمة لكي تحب الصالحين.

- السبب الثاني: موافقتهم في أعمالهم.

إذا عملت عمل الصالحين ازداد حبك لهم، وازداد حبهم لك.

- السبب الثالث الجالب لمحبة الصالحين: ترك صحبة الفجار:

لأنك إذا أحببت حبيباً عاديت عدوه وإذا عاديت عدواً أحببت عدوه ترك صحبة الفجار.

(1) ذكره القرطبي في (تفسيره): (95/16)

• السبب الرابع الجالب لمحبة الصالحين: الدعاء.

أن تدعو الله أن يرزقك محبة الصالحين، وأن تدعو أن يعلق قلبك بالصالحين،
وأن تدعو الله أن يخرج من قلبك محبة الفجار.

أربعة أسباب جالبة لمحبة الصالحين:

الإكثار من مجالستهم.

موافقتهم في أعمالهم.

ترك صحبة الفجار.

الدعاء بأن تحب الصالحين.

أرأيتم إلى رأس الصالحين سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم كان يدعو فيقول:
«اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك» النبي الأعظم يدعو أن يحب الصالحين: «اللهم
إني أسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل صالح يقربني إلى حبك»⁽¹⁾ وكان صلى الله
عليه و سلم يقول: «اللهم اجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولا مضلين، سلماً لأوليائك
عدواً لأعدائك نحب بحبك من أحبك ونعادي بعداوتك من خالفك»⁽²⁾.

الحمد لله رب العالمين

(1) أخرجه الترمذي : 3556 ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

(2) أخرجه الترمذي : 3415 ، عن ابن عباس رضي الله عنه .

ترك الحرام

عباد الله أذكركم بالموت، فإن الموت:

الموت باب وكل الناس داخله يا ليت شعري بعد الباب ما الدار

عباد الله الموت ليس منه فوت، إن أقمتم له أخذكم، وإن فررتم منه أدرككم، فالنجاة النجاة والمسارعة المسارعة، فإن وراء الموت قبراً، وإن وراء القبر ناراً حرها شديد، وقعرها بعيد، وماؤها صديد، ومقامعها حديد، فقدموا لأنفسكم، فأنتم اليوم في دار عمل لا حساب فيها، وغداً تقدمون على دار حساب لا عمل فيها، إنه { فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره } [الزلزلة:7-8].

قال تعالى في محكم التنزيل { قل تعالوا أتلو ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا كنتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون } [الأنعام:151] تسمى هذه الآية عند العلماء آية الوصايا العشر وهي الوصايا التي قامت عليها الشرائع السماوية و بها سعادة البشرية قال تعالى: { وذروا- ظاهر الإثم وباطنه إن- المدين يكسبون- الإثم سيجزون- بما كانوا يقتربون } [الأنعام:120]

قال المفسرون: ظاهر الإثم: الذنب الذي ترتكبه الجوارح، كالضرب والسب والسرقة والزنا، وباطن الإثم: الذنب الذي يفعله القلب كالحسد ونية السوء، ونحوهما.

عنوان خطبة: اليوم ترك الحرام، و هي المادة الأولى في سلسلة كيف تصبح ولياً؟..
تصبح ولياً بثلاثة مواد: (ترك الحرام - إتقان الفرائض - أداء النوافل) تصبح ولياً بثلاثة أمور:

(فعل المأمورات - ترك المنهيات - أداء النوافل) والحديث اليوم عن ترك الحرام.

الإسلام أمران: أفعال وتروك، أمور ينبغي عليك أن تفعلها، وأمور ينبغي عليك أن تتركها، ولئن كان فعل المأمورات مهم، فإن ترك المنهيات مهم أيضاً، ولعله يكون أكثر

أهمية فالإسلام تخلية وتحليه، تخلية عن الرذائل، وتحلية بالفضائل، ولئن كان التحلي بالفضائل مهماً فإن التحلي عن الرذائل مهم أيضاً، ولعله أن يكون أكثر أهمية، أندرون ما الفارق بين المسلم المنضبط بأوامر الشرع، والمسلم غير المنضبط بأوامر الشرع إنه الحلال والحرام، المسلم المنضبط يحلل ويحرم، والمسلم غير المنضبط لا يحلل ولا يحرم، إذا دعت مصلحته إلى فعل فعله سواء كان حلالاً أو حراماً فعله لا ينطلق بأوامر السماء، لكنه ينطلق من هواه وشهوته ورغباته، شعار المؤمن أيها الأخوة

(أما الحرام فالممات دونه) السلف الصالح كانوا يعلمون أولادهم هذا الكلام (أما الحرام فالممات دونه) يكتبونه في بيوتهم ويضعونه في مكاتبهم وفي أماكن بارزة من حياتهم يعلمون أولادهم هذا الكلام (أما الحرام فالممات دونه) يموت المسلم ولا يقترب من الحرام إنه مسلم منضبط له عنوان وشعار، كانت المرأة الصالحة من السلف إذا ودعت زوجها عند الصباح. وهو ذاهب إلى عمله تقف خلف الباب لتقول له: يا رجل اتق الله فينا فنحن نصبر على الجوع ولا نصبر على الحرام لأن كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به.

وبين يدي أيها الأخوة أرقام سوداء تنشرها تنشرها صحائف الإنترنت نقرأ فيها أثر الحرام في هدم المجتمعات والدول. الحرام يؤدي الأفراد ويؤدي الدول، الحرام ذل على الفرد وذل وعار على الدول، الحرام عذاب في الدنيا على الأفراد وعذاب في الدنيا على الدول

• وزارة العدل الأميركية قالت أن 8.5 / مليون إمرأه أميركية تتعرض إلى اعتداءات وحشية في كل عام.

• هيئة الإحصاء الروسية قالت أن ربع المواليد عندهم هم مواليد غير شرعيين أي أن نسبة الأولاد غير الشرعيين الذين يأتون من دون أن تكون الأم متزوجة 27% من أطفالهم.

• التقرير السنوي لوزارة الداخلية البريطانية أشار أن كل أربع دقائق هناك جريمة اعتداء.

• 40 % من نساء إيطاليا هن ضحايا الاغتصاب الجنسي، علماً أن ملكة جمال العالم اغتصبت في إيطاليا.

إنها أرقام قليلة من أرقام كثيرة يعلن عنها تباعاً سببها تفشي الحرام، تُظهر أثر ارتكاب الحرام على الأفراد والمجتمعات والدول غير الإسلامية ذلاً وعاراً وخراباً ودماراً، فلقد تطورت الآلة عندهم لكن الإنسان ما زال يتراجع، لقد تطورت الماكينة عندهم أما الإنسان ما زال يتراجع، لذلك صنف علماء الإسلام كتب في المحرمات مختصة في الكبائر، حتى لا يقع في الحرام، وإن الفرد الذي يرتكب الحرام يسيء إلى أهله وأسرته وأولاده وبلده ومجتمعه. هناك كتب متخصصة في الكبائر يذكر فيها المحرمات من الطعام والشراب والمال والأعراض والأنفس: وأشهر كتاب هو كتاب (الكبائر) فيجب أن يكون في مكتبة كل مسلم لمؤلفه الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي، يتحدث فيه عن الكبائر والمحرمات في الإسلام والأمور المحظورة ، يقول في مقدمته: هذا الكتاب مشتمل على ذكر جُمَلٍ من الكبائر والمنهيات والمحرمات، وقد ضمن الله في كتابه العزيز أنه من يجتنب الكبائر أن يكفر عنه الصغائر من الذنوب، إذا اجتنبت الكبائر حط عنك الصغائر لقوله تعالى: { إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريماً } [النساء:] ثم راح الإمام شمس الدين في عدد من المحرمات وشرحها كالشرك بالله وقتل النفس والسحر واللواط والربا والزنا وأكل مال اليتيم والسرقة والفرار من الزحف..... وغيرها والكتاب نافع ومفيد.

أيها الشاب المسلم لا بد لك من أن تجتنب الحرام ويكون شعارك وشرفك في ترك الحرام.

مهندسو زرع حقول الألغام عندما يدرسونهم في كلياتهم الخاصة يضعون لوحات على جدران القاعات يكتبون فيها (خطيئتك أيها المهندس واحدة) كم مرة يسمح لمهندس حقول الألغام أن يخطئ مرة واحدة فهي الخطيئة الأولى والأخيرة أيها الشاب المسلم شرفك في ترك الحرام وخطيئتك مع العفة واحدة فالفتاة المسلمة مرة واحدة تخطئ تكون عفيفة تصبح غير عفيفة، أيها الشاب المسلم خطيئتك في أكل الحرام واحدة كنت عفيفاً شريفاً طاهراً أصبحت أكلاً للحرام إلا أن تتوب، وترك الحرام باب كبير في الوصول إلى الولاية.

أختم خطبتي بقصة أصحاب الغار وهم ثلاثة التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيح بخري ومسلم فيها ثلاثة شباب اثنان منهما وصلا إلى الولاية صاروا أولياء بسبب ترك الحرام ونحن نتحدث في سلسلة كيف تصيح ولياً، أول مادة في جعلك ولياً هي ترك الحرام ولا بد الأمر صعب ولا بد من أن فيه ضغط على النفس

الأمارة بالسوء لكنك سوف تصبح ولياً لو قلت لهذا الجدار تحرك لتحرك من مكانه لو قلت لهذه السارية اذهبي يميناً أو يساراً لذهبت، ترك الحرام باب لكي تصبح ولياً.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر فمالوا إلى غار في جبل فانحطت على فم الغار صخرة من الجبل فأطبقت عليهم ولا يوجد طريقة للخروج، شاباً ثلاثة خرجوا في نزهة دخلوا إلى غار بسبب المطر انحطت صخرة أغلقت عليهم الباب فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالاً عملتموها لله خالصة فادعوا الله بها لعله يخرجها فقام أحدهم فقال الشاب الأول: الله إنه كان لي والدان شيخان كبيران ولي صبية صغاراً كنت أرعى عليهم يعني يعيل هذه الأسرة فإذا رحلت عليهم فحلبت بدأت بوالدي أسقيهما قبل ولدي - يقدم الطعام لأبيه وأمه قبل أن يطعم أولاده براً بوالديه - وأنه نأى بي ذات يوم الشجر فما أتيت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما تأخر في العودة في المساء فوجد الأم والأب قد ناما فحلبت كما كنت أحلب وجئت بالحلاب أي آنية الحليب فقامت عند رؤوسهما رؤوس أبي وأمي أكره أن أوقضهما من النوم وأن أبدأ بالصغار قبل أبي وأمي، وصبيتي يتضاغون عند قدمي من الجوع - الأولاد يبكون يقولون يا بابا نريد طعاماً - فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر - بقي واقف على قدميه على باب أمه وأبيه والأولاد ناموا عند قدميه يريد أن يطعم الوالدين قبل أن ينال الطعام أحد من الأولاد - قال الرجل: اللهم إن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء - هذا الرجل فعل فعلاً من الأمور وهذا سنتناوله في الخطبة القادمة - قال فتحركت الصخرة - رأيت صخرة تتحرك بدعاء إنه الولي - الشاهد عند الشاب الثاني والثالث ترك الحرام يجعلك ولياً انتبهوا أيها الشباب قال الثاني: اللهم إنك تعلم أنه كانت لي ابنة عم أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء فطلبت إليها نفسها - يعني بالحرام - فأبت حتى آتيتها بمائة دينار - قالت: تدفع مائة ليرة ذهبية أمكنك من نفسي بالحرام - قال: فسعيت حتى جمعت لها مائة دينار فلاقيتها بها فلما مكنتني من نفسها وجلست منها مجلس الرجل من زوجته قالت لي يا رجل اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه - يعني بالزواج الشرعي - فقامت عنها وهي أحب الناس إلي، اللهم إن كنت تعلم أنني فعلت هذا من أجلك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء قال فتحركت الصخرة، ماذا فعل هذا الشاب إنه ترك الحرام، وترك الحرام يحرك الحجر بين يديك، ترك الحرام يعطيك منزلة عند الله لو طلبت منه شيئاً لكان الشيء، إن من عبادي عباداً لو أرادوا أردت، عبيدني أجمعك عبداً ربانياً تقول للشيء كن فيكون، ما يمنحك يا رجل

اترك الحرام، يا رجل أنت واحد هناك آلاف وملايين من الشباب تركوا الحرام لماذا لا تكون معهم؟ هناك عشرات وقعوا في الحرام، لماذا ترضى أن تكون مع العشرات؟ ولا ترضى أن تكون مع الملايين، لماذا تريد أن تكون غير طاهر، ولا ترضى أن تكون طاهراً عفيفاً ترك الحرام يجعلك ولياً، قال الثالث: - وهو تاجر والأمر مهم للتجار طبعاً - اللهم إنك تعلم أنني كنت استأجرت أجيراً في كمية من الأرز أعطيتها له أجراً في آخر النهار فلما قضى عمله قال: أعطني حقي فعرضت عليه حقه فتردد ورغب عنه - وقال: هذا قليل أنا أريد أكثر التاجر هذا الشرط الذي بيني وبينك قال إما أن تعطيني أكثر أو أن أمضي قال: هذا حقك فالأجير ترك أجره ومضى ورغب عنه ماذا فعل التاجر هل قال: خلص الرجل لا يريد نضعها في الجيب هل قال: والله أنت لا تريد أنا أخذها وانتفع منها الله معك يقول هذا التاجر - فلم أزل أزعه هذا الأرز حتى جمعت له مالاً كثيراً فجاءني بعد سنوات وقال: أتذكرني قلت نعم، قال: أنا الذي عملت عندك منذ سنوات وتركت أجري، قال: أعرفك حق المعرفة، قال: فأعطني أجري الآن فإني محتاج إليه، قال أنتظر إلى هذا المال فنظر هذا الأجير، قال التاجر: كل هذا المال لك، فقال الأجير: اتق الله ولا تسخر مني أعطني حقي أو اصرفني، قلت: أنا لا أهزئ بك هذا المال مالك ثمرته لك فأخذه وانطلق به، اللهم إن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك - ولا يوجد قانون يلزمه بهذا الأمر ولا يوجد مسؤول يلزمه بهذا الأمر لكنه يخاف أن يضع مالاً حرام في جيبه ونما له المال نافلة وليس فرضاً - قال: اللهم إن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما بقي فتحركت الصخرة وخرج الثلاثة من الغار يمشون⁽¹⁾.

إذا أردت أن تصبح ولياً، أول درس في كيفية تصبح ولياً ترك الحرام.

نسأل الله تعالى أن يباعد بيننا وبين الحرام كما باعدت بين المشرق والمغرب.

الحمد لله رب العالمين

(1) أخرجه البخاري 2215 ، ومسلم : 6949.

استئناف التوبة

أما بعد:

يقول الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل: {وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون}

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه الإمام مسلم «يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فإنني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة» وهو سيد الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

عنوان خطبة اليوم -استئناف التوبة- هذه هي الخطبة العاشرة والأخيرة في سلسلة كيف تصبح ولياً وهذه الخطب أيها الإخوة لم تكن أبداً لتذويق الكلمات ولا لتحسين العبارات ولا لتنميق الجمل ولعاني لم آتي في هذه الخطب العشرة بجديد غير أنها ذكرى والذكرى تنفع المؤمنين ، هذه الخطب هي خطوة لنعمل ،لماذا لا تصير ولياً،مالذي يحول بينك وبين الله لكي تواليه ويواليك لماذا نحن دائماً نقول نحن في الشام ببركة الشيخ الفلاني الشيخ محي الدين مثلاً ، أو الشيخ رسلان مثلاً أو الشيخ خالد النقشبندي مثلاً متى سيكون بيننا أولياء ، متى سيستسقي أهل الشام كلهم بسببك متى سنسأل الله أن يرفع البلاء عنا كلنا من أجلك أنت مالذي يحول بينك وبين أن تكون ولياً إنه ليس هناك من حائل إلا أنك تريد أولاً تريد هذه الخطب لم تكن لتصف لكم كلمات ولكن لتتفاعل مع بعضنا البعض على العمل لعلنا نصير من أولياء الله تعالى وما ذلك على الله بعزيز تصير ولياً بأمور ثلاثة ترك الحرام ، إتقان الفرائض ، أداء النوافل ، بهذه الثلاثة أنت ولي من أولياء الله تعالى ، لن يعجز مؤمن عن ترك الحرام ،لن يعجز مسلم ولن تعجز مسلمة عن إتقان الفرائض ، لن يعجز مؤمن عن أداء شيء من النوافل ، ترك الحرام إتقان الفرائض أداء النوافل بهذه الثلاثة أنت ولي من أولياء الله تعالى ثم إن للأولياء سمات ستة تجدهم عندها وتجدها عندهم هذه السمات تساعدهم على هذه الثلاثة التي مضت، هذه السمات أولها مجالس العلم إذا أردت أن تبحث عن الأولياء ابحث عن مجالس العلم تجدهم قريبين ومتواجدين في مجالس العلم ، ثانياً ذكر الله تعالى ، ثالثاً محبة الصالحين ، رابعاً الأدب ، خامساً وهي خطبة الأسبوع الماضي اتهم النفس وسادساً أخيراً

وهي خطبة اليوم استئناف التوبة ، هذه سمات ستة للأولياء و بأمور ثلاثة تصير بها من الأولياء

عنوان خطبة اليوم: استئناف التوبة

أول طريق السالكين إلى الله التوبة إلى الله، وآخر ما يصل إليه الواصلون إلى الله استئناف التوبة ، أول الطريق توبة وآخره وأعلاه و أرقاه توبة. لان التوبة تعني في اللغة : الرجوع الى الله، والمؤمن رجّاع إلى الله في أول طريقه وفي آخر طريقه ، المؤمن رجّاع إلى الله في عسره وفي يسره ، المؤمن رجّاع إلى الله إذا كان قريباً منه أو بعيداً منه ، المؤمن رجّاع إلى الله في كل حركة يتحركها ، أتدرون أي سورة نزلت على سينا محمد صلى الله عليه و سلم آخر سورة إنها سورة النصر { إذا جاء نصر الله والفتح } بعد حياة رسول الله صلى الله عليه و سلم التي ملأت بجهاد الدعوة، والتي ملأت بجذب القلوب الى الله، والتي ملأت بالصيام وبالقيام وبالانفاق وبالخيرات، وبذل الغالي والرخيص في سبيل الله، الآن ستختم حياة سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم وسينزل الله عليه في أعظم كتاب آخر سورة ليختم بها هذا التشريع. ماذا قال له فيها { إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان تواباً } آخر كلمة التوبة، لذلك تقول السيدة عائشة لما نزلت هذه السورة على رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يكثر في ركوعه وفي سجوده: سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي⁽¹⁾ ، وتقول السيدة أم سلمة رضي الله عنها «لما نزلت هذه السورة كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يكثر ان يقول في قيامه وعوده وحله وترحله: سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي»⁽²⁾ وكان سيدنا أبو هريرة يقول: (لما نزلت هذه السورة على النبي صلى الله عليه و سلم اجتهد حتى تورمت قدماه، و نحل جسمه، وقل تبسمه، وكثر بكأؤه. التوبة أول طريقك الى الله التوبة، وآخر ما تحلم إليه من منازل في سلوكك استئناف التوبة ، سورة الفتح لما اقترب فتح مكة، ولما أراد رسول الله صلى الله عليه و سلم أن ينتصر على قريش التي حاربتة، وطلقت ابنتيه، و أجهضت ابنته، وقتلت أصحابه و رمت النار في وجهه، وأدمت قدميه، وكسرت رباعيته والآن جاء

(1) أخرجه البخاري: 794، ومسلم: 1085

(2) الهيثمي في (مجمع الزوائد): 17168، وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح.

فتح مكة كيف يكون الفاتحون، قواد الجيوش اذا انتصروا كيف يدخلون، لعل كثيراً منكم رأى صورة نابليون بونابرت موجودة في المكتبات وهو الذي انتصر صورته وقد ملئ صدره بالأوسمة، رفع قدماً على كرسي ووضع قدماً على الأرض، رفع أنفه حتى أنك تقول أن أنفه يكاد يصل إلى السماء، الآن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يدخل ليفتح مكة، كيف دخل؟ لقد ركب على ناقته وجعلت جبينه تلزق بسرج الناقة، خفض رأسه ذلاً بين يدي الله تعالى، وتواضعاً بين يدي الله تعالى، وفي طريقه إلى الفتح كان يستغفر الله، وأنزل الله عليه في الطريق **(إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر)** أول طريق السالكين التوبة، آخر طريق السالكين أعلى ما يرجوه الصالحون ان يتوب الله عليهم. ماهو الذكر المشروع أيها الاخوة؟ بعد الصلاة عندما تسلم بعد صلاتك على يمينك وعلى شمالك مالسنة؟ أن تقول أستغفر الله ما أفضل دعاء تدعوه في رمضان؟ في حديث طويل في فضل رمضان يرويهِ سيدنا سلمان يقول: «واستكثروا فيه من اربع خصال في رمضان خصلتين ترضون فيهما ربكم وخصلتين لا غناءبكم عنهما فأما اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه»¹ في رمضان نحن نصوم ونصلي ونقوم الله يقول استغفروني يا عبادي أعلى منزله هي أن يتوب الله عليك. ما هو أفضل دعاء في ليلة القدر اللهم (إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني) بعد أن تدفع الزكاة ماذا ترجو **(خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)** يعني تطهرهم من الذنوب الحج أرئيتم إلى حجاج بيت الله الحرام، بعد ما بذلوا من الغالي والرخيص، بذلوا الجهد والجهاد تركوا أعمالهم وأزواجهم وأولادهم ومضوا إلى بيت الله الحرام، فطافوا وسعوا ولبوا و جائوا إلى يوم عرفة، يوم الحج الأكبر، قضوا ذلك اليوم بالدعاء والابتهال والبكاء والرجاء وسألوا وبكوا ودمعت عيونهم وخشعت قلوبهم وانتهى يوم عرفة ونزلوا إلى المزدلفة، وهم يلبنون ماذا قال الله تعالى لهم ان يفعلوا؟ **(ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله)** أخر ما تصل اليه منزلة أن تكون في استئنا ف التوبة عندما ينهي كل خطيب خطبته ماذا يقول؟ أقول قولي هذا واستغفر الله، ويجلس الخطيب يستغفر بعد الخطبه، بعد الخطبه يستغفر، و المصلون كلهم يستغفرون، وبعض العلماء قال هذه هي ساعة الأجابه لذلك أفضل دعاء تدعوه في جلسة الخطيب بين الخطبتين هو أن تقول

(1) أخرجه بن خزيمة في (صحيحه) ، إنظر (كتر العمال) 23714 ، عن سلمان.

استغفر الله أن تتوب الى الله استئناف التوبة أعظم مرتبة تصل إليها أعظم حالة يصل إليها أولياء الله تعالى يقول الله تبارك وتعالى **(قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله)** مهما اذنبت مهما ارتكبت من اخطاء مهما فعلت من كبائر مهما جمعت من صغائر **(لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا)** جميعاً هذه الاية قال عنها المفسرون أرجى آية في القرآن وكم وكم تاب من العباد على هذه الآيات، وكم حولت هذه الآية عباد إلى أولياء لا تقنطوا من رحمة الله، ابقى على باب الملك، في صحيح البخاري ومسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان عبداً أذنب ذنباً فقال: ربي أذنبت ذنباً فاغفر لي، فقال له: علم عبدي أن له رباً يأخذ بالذنب ويغفر الذنب، قد غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنباً، فقال: ربي أذنبت ذنباً فاغفر لي، فقال الله تعالى: علم عبدي أن له رباً يأخذ بالذنب ويغفر الذنب قد غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله، فاذنب - وهذه حالنا جميعاً اليوم نتوب غداً نخطئ غداً نتوب بعد غد نخطئ بعد غد نتوب ونقول لن نعود وبعد أسبوع نعود، هذه حالنا يا أخي - فقال الله تعالى علم عبدي أن له رباً يأخذ بالذنب ويغفر الذنب قد غفرت لعبدي قد غفرت لعبدي قد غفرت لعبدي»⁽¹⁾ وهذا أو ان قصة أختم بها هذه الخطبة.

ذكروا أن شاباً كان يمشي مع الصالحين غير أنه أخطأ ذات يوم فاستغفر ثم أخطأ بعد حين فاستغفر ثم أخطأ بعد أيام فرجع ثم أخطأ ثم أخطأ حتى استحى من نفسه واستحى من ربه، وحدثته نفسه كيف يجلس مع الصالحين؟ كيف يدخل إلى المسجد؟ كل أهل المسجد أولياء وهو كل يوم يذنب، حدثته نفسه هذا الحديث - وهو حديث من الشيطان وهو يريدك أن لا تدخل المسجد لو فعلت أكبر الكبائر تعال. لو فعلت كل كبائر الدنيا تعال. لو قتلت مائة نفس تعال. أنت منا ونحن منك كلنا نخطئ ونذنب يا أخي - استحى من نفسه خرج هائماً على وجهه لا يدري ماذا يفعل أين يذهب متضايق من نفسه ومن ذنوبه في الطريق أراه الله مشهداً شاهداً باباً قد فتح - باب دار - فخرج منه طفل يبكي ويستغيث وأم الصبي تدفعه خارج البيت وتطرده وتغلق الباب وراءه بكى هذا الصبي ومضى يمشي في الشارع ثم وقف يفكر أين يذهب دار من أدخل غير دار أمي و أبي من سيؤيني إليه فكر الولد علم أنه ليس له دار تؤويه غير دار أمه و أبيه ليس هناك أحد يؤويه غير امه التي طردته فرجع

(1) أخرجه البخاري : 7505 ، ومسلم: 6989 ، عن أبي هريرة.

فرأى الباب مرتجاً قرع الباب فلم يفتح له بكى ثم وضع خده على عتبة الباب وأخذ يبكي ثم إنه نام على العتبة، فتحت الأم الباب فوجدت ولدها الصغير شاهدهته وقد نام ودموعه على عينيه حملته وأدخلته الدار ثم قالت له يا ولدي ألم أقل لك لا تحملني بمخالفتك لي على غير ما جبلت عليه من الرحمة؟ قارنوا هذه القصة مع قول رسول الله صلى الله عليه و سلم «الله أرحم بعباده من الأم بولدها»¹ إلى أي باب تذهب،

باب من تفرع، على عتبة من تقوم، مهما أذنبت ربك أرحم بك من أمك وأبيك.

يارب إني عند بابك واقف ولعلني عن بابك لا أطرده

من أي بحر غير بحرك نستقي ولأي باب غير بابك نقصد

أنت العليم بحال عبدك إنه بسلاسل الوزر الثقيل مقيد

أنت المجيب لكل داع يرتجي أنت المجير لكل من يستنجد

وأقول قولي.....

الحمد لله الحمد لله الذي هدانا لهذا الدين القويم وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله
واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وا.....

اللهم صلي على.....

أيها الإخوة الكرام ابن خلدون يقول: العرب أمة تقودها من أسنتها يتكلمون
كلام جميلاً ويحبون السماع الى الكلام الجميل لكن نريد أيضا الى السماع أن نعمل
ولو بشئ بسيط.

الآن ما النتيجة العملية لعشر خطب مضت هي أننا - إن شاء الله تعالى - هي أننا
سنقيم مجلس علم في هذا المسجد

(1) أخرجه البخاري : 5999 ، ومسلم : 6978 ، عن عمر بن الخطاب ، بلفظ : (..من هذ بولدها)

